صفحات من تاريخ البرتغال الاستعمارى
فى المغرب العربى
(فى ضوء وثائق الأرشيف البرتغالى)

للدكتور شوقى عطا الله الجمل

SOME CHAPTERS OF PORTUGEUSE CLONIAL HISTORY IN THE MAGHREB IN THE LIGHT OF THE DOCUMENTS OF PORTUGUESE ARCHIVES

By

DR. CHAWKY EL GAMAL

Portuguese invasion of Moroccan posts started in 1415 with the conquest of Ceuta. This conquest as described by a portuguese officer named Vasco caravallo was"A momentous and significant event which marks the advent of the epoch of conquests. Modern ages should rather be recorded as beginning at that moment than at the fall of Constantinople in the hands of Moslems".

Portugal accomplished this victory before the latest Arab strongholds in Spain began to fall. Granada was still under the control of Moslems. However, portuguese expeditions ensued against Morrocan ports ; they took El Kasr El Saghir in 1475. Tange in 1504, Agadir in 1505. Essouira in 1506, Safi in 1508, Azemour in 1513, El Gadida in 1514. With these cities under portuguese control, most moroccan ports fell under portugal's domination.

Nevertheless, many facts and aspects of portuguese colonization of Moroccan ports are so far uncovered and undealt with. Portugal's colonization of Angola & Mozambique and Guinea eclipsed to ocher parts that fell under portugal's control.

Portuguese archives, however, are abundant with hundreds of documents which throw heavy spotlights on the facts implied in these chapters of portuguese Colonization history.

This study attempts to provide an example of what we can draw out of the documents of the archives in Lisbon.

فى هذه الأيام التى استجابت فيها البرتغال لمنطق العقل فسلمت السلطات الحاكمة الجديدة فيها ، بحق الأفريقيين فى موزمبيق ، وأنجولا ، وغينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر فى الاستقلال والحرية ،وتيسير دفة شئونهم بانفسهم—لعل السؤال الذى يتبادر للذهن لأول وهلة هو : متى بدأت هذه الموجة الاستعمارية ؟

والحقيقة إنه على الرغم مما كتب عن الإستعمار البرتغالى ، فان الكثير من الحقائق المتصلة بهذا الإستعمار والظروف والوسائل التى تم بها ، وإنعكاسات الأوضـــاع الداخلية فى كل من المغرب والبرتغال على العلاقات بين البلدين لا زالت لم يكشف عنها النقاب .

وفى هذا البحث محاولة لإلقاء الأضواء على بعض الصفحات المبكرة من هذا التاريخ الإستعمارى فى ضوء الوثائق البرتغالية على الخصوص . ولعل الخطوة السياسية التى إتخذتها الحكومة البرتغالية والتى أشرت إليها تنسحب فائدتها على الناحية العلمية أيضاً ، فيكشف النقاب عن كثير من الوثائق التى لا زالت حبيسة فى دور الوثائق أو فى وزارة الخارجية البرتغالية (١) .

ولعل الحسن بن الوزان — ليو الأفريقى — من أوائل الذين كتبوا عن علاقات البرتغال بالمغرب العربى ، وقد ساهم الوزان بنفسه فى بعض صفحات هذا النضال

---

(١) من أهم الجهود التى بذلت للإستفادة من محفوظات الأرشيف فى لشبونة (Archives Nationales de la Torre do Tombo à Lisbonne) تلك التى قام بها منذ (١٩٠٥) الكونت دى كاسترووس (Le Comte de Castrus) بمعاونة بعض العاملين فى دار الوثائق هذه ، وممن شغفوا بعلاقة البرتغال بالعرب بالذات من أمثال أنطونيو بايو (M. Antonio Baioa) وكذلك لارانجو كويهو (Larango Coelho) وهذا الأخير شغل منصب أول محافظ لدار الوثائق هذه — وكذا داود لوبس (M. David Lopes) الأستاذ فى جامعة لشبونة والمتخصص فى تاريخ المغرب بالذات .

هذا بالإضافة إلى كولن (M.G.S. Colin) ، روبرت ريكارد (Robert Ricard) اللذين كان لهما فضل تصحيح بعض الوثائق العربية التى نشرت .

ومن الوثائق التى نشرت فى هذا المجال

— Joao de Sousa : Doccumentos Arabicos (Lisbonne 1790.

— M. Antonio Baiao : Doccumentos do Corpo Chronologico relativos à Marrocos (L' Academie des sciences de Libonne—1925)

لكن لازلنا فى حاجة للاستفادة مما نشر ولمتابعة ومضاعفة هذه الجهود .

بين المغاربة والبرتغال ، وترجع أهمية كتابات الوزان إلى أنها تعطينا وجهة نظر أخرى غير وجهة النظر الأوربية والبرتغالية على وجه الخصوص – فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالغزو البرتغالى للثغور المغربية بالشمال الأفريقى (١).

أما الكتابات الأخرى فى هذا المجال فأغلبها يعالج ناحية أو أكثر من الموضوع، وأغلبها يعطى صورة عامة عن الإستعمار البرتغالى ، لكن الوثائق تكشف عن حقائق لم تتعرض لها الكتب المنشورة ، فمثلا الوسائل التى اتبعتها البرتغال لتنفيذ مخططها الإستعمارى واستغلالها للأوضاع فى المغرب ذاته واتصالها بشيوخ القبائل وغيرهم من الخارجين على السلطات الحاكمة فى المغرب ، ومن ناحية أخرى المقاومة الوطنية الباسلة للمغاربة المخلصين لبلادهم والمؤمنين بحقهم فى الحرية ضد المستعمر ، وما وقع على السكان من صنوف التعذيب ، وما أصاب البلاد والمؤسسات المختلفة خاصة المساجد والمدارس فيها من تخريب ، كل هذه وغيرها لا نستطيع التعرف عليها إلا بدراسة الوثائق الأصلية ، وقد أهملها عن قصد أو عن غير قصد من تعرضوا لهذا الموضوع وهم قلة، فقد ركز الإهتمام على الإستعمار البرتغالى فى موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو ، ولم يلق إستعمارهم للثغور المغربية نفس العناية (٢).

---

(١) نشر كتاب (وصف أفريقيا) للوزان لأول مرة بالإيطالية فى عام ١٥٥٠ ، وترجم بعد ذلك لعدة لغات : – الترجمة الإنجليزية قام بها يوحنا بورى (John Pory) ونشرتها مؤسسة هيكليوت (Hakluyt) فى عام ١٦٠٠ .

"The History and Description of Africa and of the Notable things therein contained. Written by Al-Hassan Ibn Mohammed Al-Wezaz al Fasi. a Moor, Baptised as Giovani Leone, but better known as Leo Africanus (3 Vols),

وقد أعيد نشرها فى ثلاثة أجزاء أيضا مع مقدمة وتعليقات للدكتور روبرت برون (Dr. Robert Brown) سنة (١٨٩٦) . وفى عام ١٥٥٦ قام (Jean temporal) بترجمة الكتاب إلى الفرنسية ، وظهرت طبعات أخرى بالفرنسية له بعد ذلك .

(٢) من أهم الكتب التى تناولت الاستعمار البرتغالى وسنشير لبعضها أثناء البحث :

(*a*) Damio de Goes : La Cronica do felicissimo rei de Manuel (1566)

(*b*) Luis del Marmol : L,Afrique de Marmol (Paris 1667) 3 vols.

(*c*) J. Gouleven : La place de Mazagan sous la domination Portugais (Larose 1917)

(*d*) R. Durval, Pires de lima : Historia de dominacao Portugues en Confim (Lisbonne 1930).

(*e*) David Lopes : Historia de Potugal T. III & IV (1932)

(*f*) Vasco de Caravalho: La domination Portugaise au Marlaoc (1415—1769), Lisbonne (1936).

وقد افتتح الملك يوحنا (D.J. Oão) صفحة الإستعمار البرتغالى للثغور المغربية وهو من أسرة أفيز (AVIZ) ، ويعتبر المؤسس لدولة البرتغال الحديثة ، فقد نودى به ملكاً على البرتغال فى عام ١٣٨٥ باسم يوحنا الأول (Jean I er) وذلك بعد أن استقلت البرتغال عن نفوذ قشتالة وتقلص نفوذ العرب فى شبه جزيرة أيبريا فلم يبق لهم بعد سقوط أشبيلية سنة ١٢٤٨ م إلا مملكة غرناطة حيث بقيت السلطة فى يد بنى نصر حتى عام ١٤٩٢ م . وهو العام الذى أضطر فيه أبو عبد الله ان الأحمر آخر ملوك المسلمين بها لمغادرتها (٢).

ولعل السؤال الذى يلح على الأذهان لأول وهلةهو — لماذا اتجه البرتغال للشمال الأفريقى فى تعقبهم للعرب فى هذه الحركة التى يعتبرها بعض المؤرخين تتمة للحروب الصليبية المعروفة — بينما كانت غرناطة لا تزال فى يد المسلمين ؟

لقد دفعت البرتغال لهذا الإتجاه عدة عوامل من أهمها :

١— تجنبت البرتغال أن تصطدم بأطماع قشتالة ، وكانت قد عقدت معها صلحاً لم يجف مداده بعد (١) .

٢ — كانت الموانى المغربية هى الظهـير الذى يحمى المسلمين فى غرناطة . ومنها كانت تقلع السفن محملة بالإمدادات من رجال وعتاد للعرب فى أسبانيا .ه فالإستيلاء على هذه الموانى يعتبر خطوة هامة فى إضعاف النفوذ العربى فى شبه جزيرة أيبريا ، وهذا من جهة يؤمن البرتغال وغيرها من الممالك الأوربية من أية محاولة للعرب لإسترجاع سلطانهم فيما أصبح الكتاب العرب يطلقون عليه إسم

---

(١) للدراسة المستفيضة أنظر :

محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤) .

دول أسبانيا المسلمة منذ سقوط الخلافة الأموية حتى مقدم المرابطين إلى شبه الجزيرة .

— ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة (القاهرة ١٩٠٤ ، ١٩٥٦) .

R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne (Leiden 1932).

(٢) ستصطدم مصالح الأسبان والبرتغال وأطماعهما فى الشمال الأفريقى فيما بعد ، فحين تخلصت أسبانيا من بقية النفوذ العربى — اتجهت هى الأخرى للإستعمار ، وكانت الثغور المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى مطمع كل من الدولتين المتنافستين .

(فردوس العرب المفقود) ، وفى نفس الوقت يساعد على تصفية بقية الوجود العربى فى شبه الجزيرة الأيبيرية .

ونشير فى هذا المجال إلى أن العرب فى المغرب—أو على الأقل الصفوة المثقفة والرائدة منهم — لم يستسلموا لهذا المصير الذى آلت إليه الأمور فى أسبانيا ، فحين ضعفت دولة بنى مرين وضعف ملوكها وشغلوا بالمشكلات الداخلية عن الجواز إلى الأندلس للدفاع عنها ضد الزحف المسيحى ومحاولة استرجاع النفوذ العربى بها— ظهرت جماعات مغربية ، ومن مهاجرى الأندلس للدفاع عن الأندلس . واستخدمت هذه الجماعات سلاح القلم للدعوة للجهاد ، بالإضافة إلى العمل على إعداد الشباب المسلم وتيسير سفره للأندلس للانضمام إلى إخوانه المجاهدين هناك ضد الضغط الأوربى ، وكانت الثغور المغربية على الأخص هى الميدان العملى لنشاط هذه الجماعات ، فيها يعد للجهاد ومنها يرحل إلى أسبانيا . وقد برزت من هذه الجماعة أسماء ، منها أبو عثمان سعيد الرندى الأندلسى الأصـــل ، وهو معاصر للسلطان المرينى عبد الحق بن أبى سعيـــد ، وقد دعا علماء فاس — لمالهم من منزلة لدى الناس — للحض على الجواز للأندلس ، وكذلك منهم أبو الحسن على الشريف الحسنى السجلماسى المتوفى عام ٨٤١هـ — ١٤٣٨م ، وقد اشتهر بلقب شيخ الغزاة لأنه كان يفد إليه الشباب من سوس وغيرها فيجهزهم ويبعث بهم إلى طنجة وغيرها من الثغور المغربية للجواز منها للأندلس(١).

٣ — ويرتبط هذا العامل — بالدافع الدينى وراء الإستعمار البرتغالى للثغور المغربية ، فقد كانت من الأهداف المعلنة للملكية البرتغالية الفتية — تعقب القوى الإسلامية وتطويقها ، ومحاولة الإتصال بالملك المسيحى القديس يوحنا (Prester John) الذى كانت تثار حول مملكته وموقعها وثرائها — قصص يتناقلها الأوربيون دون أن يستطيعوا التحقق من صحتها ، وذلك فى محاولة لتطويق الدول الإسلامية والقضاء على مصدر قوتها الذى كان يتمثل فى ذلك الوقت فى تجارة الشرق ، وفى محاولة السيطرة على شرايين الملاحة المؤدية إلى مصادر هذه التجارة .

---

(١) أنظر : محمد المنونى : التيارات الفكرية فى المغرب المرينى (مجلة الثقافة العربية—العدد الخامس.)

وقد أشار الملك يوحنا ملك البرتغال الذى — كما ذكرنا — افتتح صفحة الإستعمار البرتغالى فى الثغور المغربية — إلى أن الميدان الحقيقى الذى يستطيع أفراد البيت المالك أن يكسبوا فيه الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين فى المغرب ، وأنه سيمنح وسام السيد الأعظم وهو أكبر وسام فى بلاده لمن يثبت جدارته فى هذا الميدان . وتنافس فى هذا المجال أبناء الملك الثلاثة فى ذلك الوقت — دورات ، بدرو ، هنرى (D. Duarte) ، (D. Pedro) ، (D. Henrique) . وكان هذا الشرف من نصيب هنرى الإبن الثالث للملك والذى عرف باسم هنرى الملاح فهو الذى تصدى لهذه المهمة ، وكان إغراق الملك عليه بالرتب من دوافع استخفافه بالمخاطر فى سبيل تحقيق الهدف الذى أعلن الملك عنه (١) .

وقد أشار الضابط والكاتب البرتغالى فاسكودى كرافللو الذى أرخ للاستعمار البرتغالى فى هذه الفترة — إلى الروح التى كانت تسود الشباب البرتغالى عامةيو مئذ فقال : « إن الشباب البرتغالى كان يعتقد أن المسلمين — إذا كانوا قد التجاؤا من شبه جزيرة الأندلس إلى الشمال الأفريقى — فإن الواجب يحتم على المسيحيين ألا يتركوهم ينعمون بالمقام بل أن يتعقبوهم هناك » (٢) .

٤ — الأهمية التجارية للثغور المغربية : ولا يتسع المجال هنا لإفاضة فى الحديث عن العامل الاقتصادى وراء الاستعمار البرتغالى فى هذه المرحلة . لكننا نشير إلى أن تجارة البحر المتوسط كانت تمثل المرحلة الثانية فى رحلة تجارة الشرق المربحة إلى أوربا ، وكانت المدن التجارية الإيطالية جنوه و البندقية بحكم موقعها وأساطيلها تتحكم فى هذه التجارة عبر البحر المتوسط إلى أوربا . وبرزت فى هذه الأثناء مـــدن الشمال الأفريقى المطلة على البحر المتوسط إلى أوربا ثم تلك التى تطل على المحيط الأطلسى باعتبارها منافذ لتجارة الصادرات الأفريقية لأوربا من قمح

---

(١) للدراسات المستفيضة عن هذا الدافع وراء الغزو البرتغالى للثغور المغربية وموقف البابوية من هذا الأمر ، وكذا البعثات والجمعيات التبشيرية الأوربية عامة والبرتغالية خاصة — أنظر :

شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٧١) ص ١٢١ — ١٢٨ وكذلك ١٥٤ وما بعدها .

(٢) ملاحظة : من الكتب الممتازة عن العامل الإقتصادى وراء الإستعمار

Woolf, Leonard : Empire and commerce in Africa (London 1920)

وماشية وعبيد وذهب ونحاس ، وواردات أوربا المرغوبة من الأفارقة . وحين اكتشف البرتغاليون فى نهاية القرن الخامس عشر طريق رأس الرجاء الصالح للشرق (رحلات فاسكو داجاما Vasco Dagama) فى عام (١٤٩٧) وما بعدها — دخل الصراع فى مرحلة أخرى — حتى أن البنادقة ألقوا بثقلهم كله فى صف القوى الإسلامية الممثلة فى ذلك الوقت فى السلطنة المملوكية مضحين بالعامل الدينى فى علاقاتهم بالمماليك أو البرتغال ، لكن حسمت موقعة ديو (Diu) البحرية فى ١٥٠٩ هذا الأمر فى صالح البرتغال (١) .

على أننى أشير هنا إلى نقطة هامة وهى أن أسبانيا رغم أنها دخلت الميدان الإستعمارى متأخرة بعض الشىء عن البرتغال لأسباب متعددة فى مقدمتها إنشغالها فى تكملة المعارك التى انتهت بتصفية الوجود العربى فى أسبانيا — فقد حاولت أن تستفيد من وقوع جزر كناريا فى يدها عام ١٤٧٦ لمحاولة بسط نفوذها على الساحل المغربى المقابل ومنافسة البرتغال فى هذا المجال .

وفى ٢٠ يولية ١٤١٥ غادرت ميناء لشبونة قوة برتغالية ضخمة على ظهر أسطول من ٢٤٠ سفينة بقيادة الملك يوحنا نفسه . وحرص الملك البرتغالى على أن يخفى وجهة هذه الحملة . وفى ٢١ أغسطس وصلت سفن الحملة إلى ميناء سبتة المغربى بعد أن واجهت جواً عاصفاً وبحراً هائجاً ، وقاوم أهل المدينة التى فوجئت بهذا الغزو ما استطاعت لهم المقاومة ، لكن لم تجد المقاومة فدخل الغزاة المدينة ، وفر من استطاع الفرار ممن بقى حيا من سكانها ، وعاد الملك البرتغالى لبلاده بعد أن ترك فى المدينة حامية قوامها ٢٥٠٠ جندى ، كما ترك د. بدرو D. Pedro حاكماً عليها ، ومن ذلك التاريخ إلى اليوم لم تعد هذه المدينة إلى حظيرة الوطن الأم ، ولذا يقول الضابط البرتغالى (فاسكودى كرافللو) « إن هذا حدث خطير وعظيم يعتبر بداية لعهد الفتوحات ، لهذا أجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من أن يتخذ سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين بداية لها » (٢).

---

(١) De Caravalho, Vasco: La Domination Portugaise au Maroc (1415—1779)— Lisbonme 1936 P. 15

Duffy, : James : Potugeuse Africa (London 1959) P. 82

Johnston: A History of the Colonization of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)p. 116

(٢) De Caravalh, Vasco : Op. cit. p. 17

وكانت الدولة المرينية بالمغرب فى دور احتضارها ، فقد كان أبو سعيد عثمان (٨٠٠ – ٨٢٣ هـ / ١٣٩٧ – ١٤٢٠م) فى حروب مستمرة مع أمير تونس الحفصى ، كما كان نفوذ حجاب الدولة ووزرائها ، وتدخلهم فى شئون الحكم ، قد زاد بشكل ملحوظ – فلم يستطع الحاكم المغربى أن يتخذ خطوة حاسمة لطرد العدو المغتصب ، وحتى حين اتفق ملك فاس وملك غرناطة فى عام (١٤١٩) على توجيه حملة بحرية وأخرى برية مشتركة ضد البرتغاليين فى سبتة – لم تجد هذه الجهود فى طرد البرتغال من سبتة وأضطرت القوات الإسلامية المهاجمة للعودة ، ولم يجدد المغاربة محاولاتهم لإستردادها إلا بعد ذلك بمدة طويلة (١).

وحين وصل د. ديوارت D. Duarte إلى كرسى العرش فى البرتغال بعد أبيه فى ١٤٣٣ – عهد لأخويه هنرى D. Henerique وفرناندو D. Fernando وهو الشقيق الأصغر بمهمة إتمام الفتوحات البرتغالية فى الثغور المغربية . وكانت طنجة بالذات هى الضحية التى تتجه إليها الأنظار . وعلى الرغم من معارضة مجلس الملك فى القيام بهذه المخاطرة – فقد أعدت حملة من ٨,٠٠٠ جندى لتحقيق هذا الهدف . ووصلت هذه الحملة إلى ميناء سبتة فى ٢٧ أغسطس ١٤٣٧ وانقسمت إلى قسمين – قسم على رأسه هنرى إتخذ الطريق البرى صوب طنجة ، والآخر على رأسه الشقيق الأصغر فرناندو أقلع عن طريق البحر بهدف الإطباق على المدينة من البر والبحر . وفى ١٣ سبتمبر بدا كأن الحملة على وشك تحقيق أهدافها ، فقد كانت القوات البرية على أبواب طنجة بينما كانت القوات البحرية تهاجمها بحراً .

اجتاحت هذه الأخطار المغرب فى فترة من أحرج فترات تاريخه . فقد كان السلطان المرينى أبو سعيد عثمان قد قتل فى عام (٨٢٣هـ – ١٤٢٠ م) وخلفه إبنه عبد الحق وكان طفلا صغير السن فآلت أمور الدولة إلى الحجاب والوزراء ، وكثر النزاع بينهم فى وقت كان يتطلب تضافر الجهود – لكن نجح الوزير أبو

---

(١) لمن يريد الاستزادة عن تاريخ الدولة المرينية أنظر : (أ) الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول (طبع الجزائر ١٩٢٠) (ب) إبن أبى زرع الفاسى : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (نشر سنة ١٨٤٣ بعناية كارل تورنبرج) .

زكريا يحي فى أن يقبض على ناصية الأمور ونصب نفسه وصياً على الملك الطفل ، وأرسل للأقاليم المغربية المختلفة يحضها على الإسراع بتقديم المعونة للمدينة المجاهدة وكان هو على رأس الجيش المدافع وانتهت المعركة بهزيمة البرتغاليين وعدم استطاعتهم اقتحام المدينة والإستيلاء عليها ، وأضطروا — بعد أن أنزلت بهم القوات المغربية المتحمسة للدفاع عن بلادها خسائر فادحة — أن يدخلوا فى مفاوضات للصلح ليستطيعوا الجلاء بقواتهم الباقية ، وكان مما أثاره الجانب المغربى كشرط أساسى للصلح أن يجلو البرتغال أيضاً عن ميناء سبتة ، لكن البرتغال اعتبروا الجلاء عنها فضيحة تؤدى بسمعة الملكية البرتغالية الناشئة . وتضحية بأحلامهم كلها ، وفضلوا عليها أن يبقى شقيق ملك البرتغال الصغير فرناندو رهينة لدى السلطات المغربية لضمان عدم معاودة البرتغال الهجوم على طنجة أو غيرها من الموانى المغربية . وقد ظل هذا الأمير البرتغالى سجيناً فى فاس حتى مات فى ٥ يونية ١٤٤٣ وقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد ضمن الشهداء(١) .

وعقد الصلح وتم إنسحاب القوات البرتغالية فى ١٦ أكتوبر ١٤٣٧ .

على أن الملاحظتين الجديرتين بالتسجيل هنا هما :

أولا : إن اصرار البرتغال على عدم إخلاء سبتة يدل بوضوح على تصميمهم على متابعة تحقيق أهدافهم الإستعمارية مترقبين الفرصة المناسبة لذلك .

ثانياً : إن موقف الكنيسة الكاثوليكية يؤيد بجلاء أيضاً ما ذكرناه عن أن الهدف الدينى كان من أقوى الأهداف وراء الاستعمار البرتغالى .

وفعلا لم يكد الفونس الخامس Alphonse V يخلف د. دوارت D. Duarte على عرش البرتغال فى عام (١٤٣٨) حتى أخذ يعد العدة لمتابعة عمليات الغزو للثغور المغربية ، وكان ما استقر عليه رأى هذا الملك ومستشاريه أن توجه الجهود أولا للاستيلاء على ميناء القصر الصغير الواقع بين سبتة وطنجة — كمقدمة للإستيلاء على طنجة ، وقاد الملك الفونس بنفسه فى

---

(١) من أفضل ما كتب عن أحداث هذه الحملة :

Ruy De Pina : Chronica De Siera ut Supra T.I. (1790) 10—42

٢١ أكتوبر ١٤٥٨ حملة من ٢٥,٠٠٠ جندى حملتهم ٢٨٠ سفينة ووصلت الحملة إلى هدفها ، فبدأت فى ٢٣ أكتوبر فى مهاجمة الميناء ودخلت القوات البرتغالية بعد ذلك وعين الملك حاكما له ، وبنى البرتغال حصنا للحامية البرتغالية فى القصر الصغير (١) .

على أن الملك المرينى الشاب عبد الحق بن أبى سعيد استطاع على الرغم مما كان يواجهه من اضطرابات داخلية أن يوجه بعض قواته للبرتغاليين فى مستقرهم الجديدا قبل أن يتمكنوا من تمهيد وسائل الإتصالات بينهم وبين مراكزهم فى سبتة وأضطر الملك الفونس للعودة لبلاده تاركاً الحامية البرتغالية تدافع عن الغنيمة الجديدة . وكان البحر هو وسيلة البرتغال لإمداد حاميتهم هذه — لكن لم تستطع القوات المحاصرة للمدينة أن تستمر طويلا فى حصـــارها — فاضطرت فى يناير ١٤٥٩ لفك الحصار ، ونجح البرتغال بعد ذلك فى أن يربطوا بين منطقتى إحتلالهم فى المغرب ، مستغلين إتصالهم ببعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ليضمنوا مرور قواتهم العسكرية بأمان بين مناطق احتلالهم .

ونشير هنا إلى أن هذه الأحداث عاصرت حدثا هاماً هو الذى أشار إليه الضابط البرتغالى دى كرافللو وأعتبر سقوط سبتة فى يد البرتغال أكثر منه أهمية ألا وهو استيلاء العثمانيين على القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ .وكان لسقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية فى يد العثمانيين دوى هائل فى أوربا حتى أن الكنائس دقت أجراسها — الدقات الجنائزية حداداً على هذا الحدث الجلل .

ودعا البابا إلى حرب صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية التى أصبحت تهدد العالم المسيحى وتكيل له الضربات فى الصميم ، وكان من الذين استجابوا لهذا النداء الفونس الخامس ملك البرتغـــال — فساهم بإعـــداد أسطول وجيش كبيرين ، لكن كان هذا الملك فى الحقيقة يخطط لهدف آخر ، فقد نجح فى أن يوجه الحملة الصليبية إلى المغرب بحجة إرساء قاعدة بحرية فى الشمال الأفريقى تكون فى خدمة

---

(١) أنظر صورة بقايا الحصن البرتغالى (نقلا عن الأصل المحفوظ بالمحفوظات بتطوان) .

الأساطيل والجيوش الأوربية فى المستقبل ، وقصدت الحملة طنجة باعتبارها أنسب مكان لذلك ـ لكنها فشلت فى الإستيلاء عليها .

على أن الاستيلاء على طنجة ظل منذ ذلك الوقت الحلم الذى يتطلع التاج البرتغالى لتحقيقه ، ويعد العدة له . وفى عامى ١٤٦٣ . ١٤٦٤ بذلت البرتغال ثلاث محاولات ضد هذا الحصن كانت آخرها فى ٢٠ يناير ١٤٦٤ ، وخسر البرتغاليون فيها ما ينيف على ٢٠٠ قتيل ، وأكثر من ١٠٠٠ أسير .

وانتهز البرتغاليون فرصة الإضطرابات التى سادت المغرب بسبب مقتل السلطان عبد الحق بن أبى سعيد المرينى فى عام (٨٦٩هـ—١٤٦٤) . فقد إستوزر هذا السلطان يهودياً إستبد بالناس وكثر ظلمه لهم فضج أهل فاس بالذات . وفتكوا بالوزير والسلطان معاً ، وانتخبوا للإمارة أحد الشرفاء من أحفاد الأدارسة هو أبو عبد الله الحفيد ـ لكن لم تستقر له الأمور فقد نافسه فى الإمارة محمد الشيخ ابن أبى زكريا الوطاسى عامل أصيلا، فسار إلى فاس وحاصرها واستمر الصراع بين الإثنين من عام ١٤٦٥ إلى ١٤٧٢ .

ولم يتأخر الفونس الخامس عن الإستفادة من هذه الفوضى ، فأرسل فى عام ١٤٦٩ قوة هاجمت أنفا (Anfa) واستولت عليها . وكان أغلب سكانها قد هجروها .

كما أرسلت فى أغسطس ١٤٧١ قوة بحرية من ٤٧٧ سفينة عليها ٣٠,٠٠٠ مقاتل بهدف الإستيلاء على أصيلا الواقعة إلى الجنوب من ميناء طنجة بقليل . ووصلت هذه القوة فى الخامس عشر من الشهر المذكور على مشارف الميناء المذكور ، وبعد مقاومة باسلة من حاميتها وسكانها سقطت المدينة فى يد البرتغال فى ٢٤ أغسطس ، وأسر البرتغال ٥,٠٠٠ من المدافعين عنها ، وفى قصبة المدينة قبضوا على كثير من النساء والأطفال منهم أولاد وزوجات محمد الشيخ ، وكان هذا الأخير فى ذلك الوقت يحاصر فاس بجيشه ـ فاسرع لينجد المدينة المنكوبة لكن بعد فوات الأوان ، فقد كانت قد سقطت فى يد البرتغال . فلم يجد بداً من السعى لعقد صلح معهم ، وفعلا وقعت بين الطرفين فى أصيـــلا معاهدة مدتها عشر سنوات حددت

فيها مواقع كل طرف من الطرفين ، واتفق على ألا يحاول المغاربة الهجوم على القوات البرتغالية فى المناطق التى أحتلتها ، وأطلق البرتغال صراح زوجات محمد الشيخ وأولاده ما عدا أحد أبنائه الذى بقى كرهينة لضمان تنفيذ شروط المعاهدة (١) .

وفى ظل هذه المعاهدة أيضاً لم يبسط ملك البرتغال نفوذه ، على أصيلا فحسب لكن على الموانى الهامة المجاورة ، فبسط نفوذه على العرائش وعين حاكماً عليهـــا هو الإبن الثانى لدوق براجانس (Duc de Bragence) ، كما أرسل قوة على رأسها أحد أبناء هذا الدوق أيضاً ويدعى جيان (Jean) إستولت على طنجة فى أغسطس ١٤٧١ بدون مقاومة تذكر ، فقد كانت الخلافات الداخلية تفتت الجهود وتصرفها عما هو أهم ، ومن ذلك التاريخ أصبح ملك البرتغال يلقب بملك البرتغال والأقاليم البرتغالية فيما وراء البحار " Rei de Portugal et dos Algarves d'quem et d'Alem Mer "

أما محمد الشيخ فقد عاد لمحاصرة الشريف الإدريسى بفاس واضطر هذا الأخير للهرب مع بعض رفاقه إلى تونس ، فانفرد محمد الشيخ بالحكم فى فاس (١٤٧٣) وشغل بتوطيد أسس الدولة الوطاسية .

والحقيقة إن الأمر كان يستلزم وجود دولة قوية تمسك بزمام الأمور وتواجه الأخطار التى يتعرض لها المغرب . لكن للأسف لم يستطع الوطاسيون أن يبسطوا نفوذهم على كل أنحاء المغرب . وأن يتفرغوا لمواجهة الخطر الخارجى . وزاد الأمر سوء النزاع على السلطة بين أفراد البيت الوطاسى نفسه . وفى هذه الأثناء برزت فى الميدان قوة أخرى حاولت أن تلعب دوراً حاسماً فى مجابهة الخطر الخارجى وقد تمثلت هذه القوة فى مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم .

وكانت هذه الطرق الصوفية قد إنتشرت فى المغرب أيام المرابطين والموحدين ، وكانت الزوايا – وهى مراكز أهل الطريقة فضلا عن أنها مراكز للنشاط الدينى – غالباً تستخدم لأغراض متعددة فهى تستخدم كملاجئ للعجزة ومدارس ودور للبر والإحسان ، وكان شيوخ الطرق يلقون الكثير من الإحترام والتقدير

---

(١) هو أبو عبد ، الله محمد وقد قضى عند البرتغال سبع سنوات تقريباً ، ولما أنقذه أبوه ورجع كان يتقن اللغة البرتغالية ، فلقب بالبرتغالى وحكم بعد أبيه (٩١٠ – ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ – ١٥٢٤م)

لما يتصفون به من تقوى ، وقد تميز المغرب فى تاريخه الطويل منذ الفتح الإسلامى بامتزاج الدين بحياة المغربى إمتزاجاً وثيقاً . على أن أتباع هذه الطرق إضطروا فى كثير من الأحيان إلى أن يقصروا نشاطهم على زواياهم بسبب منع السلطات المغربية مزاولة نشاطهم فى خارج زواياهم — لكن هذه الزوايا بدأت تنشط من جديد وتظهر على مسرح الأحداث فى مواجهة هجمات البرتغاليين وغيرهم من القوات المسيحية بعد أن عجزت السلطة فى فاس عن مقاومة هذه الهجمات ومنعها . ومن أكثر طوائف الصوفيين حماساً فى هذا المجال طائفتان(١):

١ — أتباع عبد القادر الجيلانى الذى أنشا الطريقة القادرية فى فاس .

٢ — أتباع محمد الجزولى ، وقد بلغوا أكثر من ثلاثة عشر ألف نسمة وملأوا البلاد بالزوايا وحاولوا أن يتصدوا للإستعمار البرتغالى للمغرب — لكن بالطبع كان الأمر يتطلب إعداداً عسكريا كاملا لمواجهة جيش دولة نظامية فتية كالبرتغال .

على أن تحقيق البرتغال لحلمهم فى الإستيلاء على طنجة لم ينه الإصطدام بينهم وبين السلطات المغربية — فقد كان طبيعياً أن تتحين السلطات المغربية الفرص لمحاولة تحرير المناطق المحتلة . كما أن البرتغال كانوا يتطلعون لمد نفوذهم على الأقاليم المغربية الأخرى المطلة على المحيط الأطلسى(٢).

وفى عام ١٤٧٦ هاجم السلطان محمد الشيخ سبتة فى محاولة لتوجيه ضربة للبرتغال بها ، وكان مدفوعاً فى ذلك بإيعاز من ملك أسبانيا الذى إشتهر باسم فرديناند الكاثوليكى (Ferdinand le Catholique) الذى كان فى حرب ضد الفونس الخامس . وقد جـــاء الملك الأسبانى نفسه بقواته للمساهمة فى توجيه ضربة للبرتغال بها . كما كانت قوات قشتالة تهاجم المدينة من البحر . وكان على الحـــاكم البرتغالى لسبته المدعو منديس دى فاسونسيلوس (Rui Mendes De

---

(١) من الذين كتبوا عن دور أصحاب الطرق الصوفية السياسى فى المغرب بول أوديتوت (P · Odinot) فى كتابه : الدور السياسى الذى قامت به الطرق الصوفية ، والزوايا فى مراكش (وهران — ١٩٣٠) .

(٢) ملاحظة : بقيت طنجة فى يد البرتغال ما يقيف عن قرنين حتى تنازلوا عنها للإنجليز عام ١٦٦١ كمهر قدمته كاترين دوبر اكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثانى ملك انجلترا وقد استردها المولى اسماعيل فيما بعد (١٠٩٥ هـ — ١٦٨٤)

Vasconcellos) أن يواجه هذا الهجوم المتشعب – على أن البرتغال نجحوا فى عقد معاهدة صلح مع قشتالة فى ٤ سبتمبر ١٤٧٩ ، كما عقدت فى طليطلة بعد ذلك بوقت قصير فى ٦ مارس ١٤٨٠ معاهدة أخرى وضعت نهاية للحرب بين أسبانيا والبرتغال . وفى المعاهدتين أطلقت يد البرتغال فى أملاك ملك فاس ، وفى الموانى المغربية التى تعتبر المنافذ للطرق التجارية المؤدية لداخل القارة . وأخذ الملك الفونس الخامس يتجه بنظره للموانى المغربية المطلة على المحيط الأطلسى والتى تعتبر منافذ لإقليم مراكش ، وكانت السلطة الحقيقية فى هذه المناطق الحيوية فى يد قبائل المصامدة التى كانت قد نزلت فى المناطق الجبلية بالجنوب وكما يذكر البكرى « إنها قد تأيدت فى الجبال وإشتهرت بالمنعة والباس وحظيت بما لم يحظ به غيرها من الثراء والإستقرار »(١) .

والحقيقة إن هذه القبائل لم تعترف بالسلطة المطلقة لحكام فاس ، وكانت مواطنها دائما مراكز الثورة والخطر على حكام الشمال . ومن أشهر هذه القبائل – كما يذكر إبن خلدون – هنتاتة وموطنهم الجبل المتاخم لمراكش ، ودكالة ومواطنهم الساحل المواجه لجبال الأطلس من جانب الحوف فيما يلى مراكش إلى البحر ، وحاحه ومواطنهم السوس الأقصى (٢).

وهكذا نجد أن الأوضاع فى الثغور المغربية تأثرت ليس فقط بالوضع الداخلى فى المغرب لكن بالعلاقات السياسية بين أسبانيا والبرتغال .

وواصل جيان الثانى (Jean II) الذى وصل لعرش البرتغال بعد وفاة أبيه فى أغسطس ١٤٨١ – سياسة أبيه فى محاولة توسيع نفوذ البرتغال فى المناطق الساحلية فى المغرب ، فحاول بمجرد إعتلائه العرش بسط نفوذه على أسفى ، كما حاول فى ١٤٨٦ أن يبسط نفوذ البرتغال على ازمور وذلك عن طريق الإتصال برؤساء القبائل وربطهم بالبرتغال بمعاهدات وإتفاقيات .

---

(١) البكرى : المسالك والممالك ص ١٥٣ ، ١٥٤

(٢) المصامدة نسبة إلى (مصمود بن يونس) وهم من أكثر قبائل البربر عدداً ، وكان لهم التقدم والدولة قبل الإسلام وبعده ، ولم تزل مواطنهم بجنوب المغرب الأقصى منذ الأجيال المتطاولة – كما يقول المراكشى – فى المعجب – أنظر ابن خلدون جـ ٦ ص ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ (ويعتبر ابن خلدون من أعظم المؤرخين الذين كتبوا عن البربر) .

وكان للبرتغال كما ذكرنا – مركز حصين فى انفا القريبة ، لكن كانت المراكز البرتغالية تتعرض باستمرار لهجمات القبائل ، فكان مركزها فى هذه المناطق رهن بموقف القبائل المغربية منها . ولم يقم جيان الثانى بحملة قويه ضد مملكة فاس – لكنه فكر فى إنشاء حصن برتغالى متقدم فى المنطقة بين العرائش والقصر الكبير على جزيرة نهرية فى اللوكس ، واختار له إسم جراكيوزا (Graciosa). وأرسلت حملة بحرية لتحقيق هذا الهدف ،وكان على رأسها قائد يدعى جاسبار جوسارت (D. Gaspar Jusart) . وهب الأمير الوطاسى محمد الشيخ (٨٧٦–٩١٠هـ ١٤٧٢–١٥٠٤) لمواجهة هذا الخطر ،واتجه إلى خطة تقضى بالإحاطة بالعدو ومحاولة قطع الإمدادات عنه وحصره فى مكانه إلى أن يستسلم ، ولتحقيق هذا الهدف أنشأ سداً على اللوكس للتحكم فى المنطقة التى كان البرتغاليون يعملون للتحصن بها . ورغم أن الظروف كانت متاحة للإيقاع بالقوات البرتغالية ومحاولة إفنائها – لكن قبل محمد الشيخ أن يعقد مع العدو صلحاً . وفى ٢٧ أغسطس ١٤٨٩ عقدت معاهدة بين الطرفين ، كما تقرر تجديد العمل بنصوص معاهدة أصيلا التى كان العمل بها ينتهى فى عام ١٤٩١ . وأتاحت هذه الإتفاقات الجديدة للبرتغال فرصة لتقوية نفوذهم فى حصونهم الأربعة (سبتة و القصر الصغير و طنجة و أصيلا)، كما إستطاع البرتغال أن يعقدوا إتفاقات مع عدد من الشيوخ المستقلين عن سلطة فاس أو المناوئين لسلطة الحكومة المركزية فيها ، فكانوا يمدونهم بحاجة جيوشهم من المـــؤن والخيل وغير ذلك[1] . (على أن عمانوئيل الأول (Emmannuel 1 ere) الذى خلف جيان الثانى على عرش البرتغال فى عام ١٤٩١ رسم سياسته تجاه المغرب على أساسين :

١ – يقيم على ساحل مراكش المطل على المحيط الأطلسى عدة قلاع فى أماكن متقاربة تختار لهذا الغرض ، ويقيم فى كل قلعة مقيم برتغالى تسنده قوة برتغالية .

٢ – يرتبط مع شيوخ القبائل وأصحاب النفوذ – خاصة فى المناطق البعيدة عن سلطة سلطان فاس بعلاقات وإتفاقات تكفل تعاونهم مع المقيمين البرتغال فى الثغور المحتلة وفى القلاع المقامة،خاصة أن كثيرين من هؤلاء الشيوخ كانوا فعلا مرتبطين

---

(١) أنظر محاولة جيان الثانى (Jean II) الإتفاق مع قبيلة بنى هنا فى أزمور :
Archives Nationales de la Torre do Tombo Gaveta 2 Maco 1 No. 7 .

بمصالح تجارية مع البرتغال . وكان الوكلاء التجاريون يفدون لهذه المناطق — قبل تأسيس القلاع البرتغالية ويؤدون مبادلاتهم التجارية على ظهر مراكبهم ، كما أن الكثيرين من الشيوخ كانوا خارجين عن نفوذ سلطان فاس أو مناوئين له — كما أشرنا من قبل .

وتركزت أنظار الملك عما نوئيل الأول أولا على أسفى الثغر المغربى الواقع على شاطئ البحر المحيط بأقصى الغرب ، كما يقول ياقوت فى معجم البلدان (١)

وكانت أسفى فى ذلك الوقت تتنازعها عدة سلطات : ا — سلطة رؤساء الأحزاب الذين إقتطعوها من حكومة الوطاسيين ثم لم يقدروا على إدارة سياستها ب — سلطة الوطاسيين الضعيفة حـ — سلطة البرتغال المتسربة بواسطة الدسائس والإتفاقات مع رؤساء الأحزاب ، فقد كانت هناك إتصالات مع البرتغاليين من عهد الفونس الخامس ، وجيان الثانى .

وفى خطاب جيان الثانى لحاكم أسفى أحمد بن على يطلب ملك البرتغال أن يبحث الحاكم عن منزل يستطيع ممثل الملك أن يستقر به ، حتى يزاول نشاطه التجارى. ومن الخطاب يفهم أن هذا الممثل التجارى كان يقوم بتدبير ما تحتاجه البرتغال من منتجات هذه الجهات (خاصة الذهب والخيول والشمع والجلود والحبوب) ، وفى نفس الوقت كان الميناء يشرف على تصريف البضائع البرتغالية . ويبدو أن العلاقات استمرت حتى ١٤٩١ فى هذا النطاق (٢) . وكانت سياسة عمانوئيل الأول (Emmanuel I) قائمة على أن يختار نقطـاً حصينة على الساحل المغربى ويضع أيديه عليها وينشىء بها الحصون والقلاع ، ويتخذ منها مراكز لتحقيق أهداف

---

(١) يقول ياقوت فى معجم البلدان : أسفى بفتحتين وكسر الفاء ، بلدة على شاطئ البحر المحيط باقصى المغرب ، وتارة تكون مهموزة ، وتارة ممدودة وكلاهما قيل به .
أما عن سبب تسميتها هذه ، فهناك أقوال متعددة فى هذا الشأن ، فأبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسى (٥٦٠ هـ — ١١٦٤م) فى نزهة المشتاق (طبعة ليدن ١٨٦٦) يورد قصة طويلة يرجع إليها هذه التسمية — وأسفى فى لغة الشلوح معناها المعدية أو محطة خروج الحجاج .

(٢) نص خطاب جيان الثانى (Jean II) مرفقة صورته مع البحث والأصل بالأرشيف البرتغالى.

البرتغال فى المغرب وفى القارة الأفريقية عامة . والأوضاع التى شرحناها فى أسفى كانت مما شجع عمانوئيل الأول على أن يتجه إليها قبل غيرها من الثغور المغربية ، ويحدثنا ليو الأفريقى عنها بأنها كانت مدينة تجارية هامـــة وأنها حتى ختـــام القرن الخامس عشر كانت تلعب دوراً حاسماً فى تجارة غرب أفريقيا وشمالها الغربى ، كما يتحدث عن قبائلها وكثرة النزاع بين هذه القبائل . ويشير إلى أن الدول الاستعمارية كانت تستفيد من هذه الخلافات والأطماع القبلية لتدعيم نفوذها فى هذا الثغر الهام (١) .

وكانت لأسفى بالذات أهمية باعتبارها مرسى مراكش ، أو كما يقول ابن خلدون كانت حاضرة البحر المحيط . وأنها تبعد عن مراكش بمقدار ١٥٥ كيلومتراً . وكان الملك عمانوئيل الأول قد أرسل أحد قواده ويدعى أزامبوجا (Azambuja) تمهيداً لبسط النفوذ البرتغالى نهائياً على أسفى . وفى ١٥٠٨ أرسل قائداً آخر هو (جانسالو منديس كاكولو Gancalo Mednes Cacolo) ومعه أربعة سفن حربية برتغالية وذلك لإسكات أصوات المعارضين للنفوذ البرتغالى من الوطنيين ومساندة أزامبوجا (Azambuja) لتحقيق ما أرسل لأجله . ووصلت الحملة الثانية هذه فى يناير ١٥٠٨ . وكانت البرتغال قد مهدت لبسط نفوذها بالإتصال مع زعماء القبائل . فلم تجد الحملة صعوبة فى تحقيق أهدافها . والطريقة التى حقق بها البرتغاليون أغراضهم فى أسفى ، كما فى غيرها من الثغور المغربية تكاد تكون واحدة وتدعو للعجب من عدم يقظة السلطات المسئولة عن حماية المنطقة ، أو من تساهلها مع البرتغال ومن كان يساندهم من شيوخ بعض القبائل . وفى أسفى ، استطاع البرتغال أن يحصلوا من السلطات الموالية لهم فى المدينة على حق بناء دار تحفظ بضائعهم ، ويأوى إليها التجار من رعاياهم حين يحضرون بسفنهم للاتجار مع هذا المنفذ البحرى . وبنى البرتغال لهذا الهدف على شاطىء المحيط قصبة مربعة الشكل جعلوا على كل

---

(١) Leo Aficanus : The History and Description of Afica (Published by Hakluyt London 1896), pp. 284, 293 & 367 .

ويؤكد ليو أن شخصا يدعى عبد الرحمن استطاع الوصول للسلطة بمساعدة البرتغال ، لكن قتله يحى بن تعفقت (Yahia Ben Tafofit) وأصبح أيضاً صاحب النفوذ فى أسفى بتقربه لبرتغال ولعب هذا الأخير دوراً حاسما لتدعيم نفوذ البرتغال فى هذه الجهات .

ربع منها برجاً ، وجعلوا فى وسطها عدة دور وخزائن سمح لهم حكام أسفى بها باعتبارها دوراً للتجار ، ولكنها فى الواقع كانت دار حرب مهدت لهم السبيل لإحتلال أسفى ، فلما اكتمل كل شىء فتحوا لها باباً على البحر — وقيل إنه من هذا الباب كانوا ينزلون عساكرهم ليلا ، وأن الأسلحة كانت ترد فى صناديق على اعتبار أنها بضائع ولم يفطن لذلك المسؤلون عن الميناء من المغاربة . وبعد أن تجمعت لهم القوة لم يلبثوا أن انقضوا على السكان بالأسلحة التى جلبوها بهذه الخدعة حتى أضطر السكان للجوء إلى المساجد بالمدينة ، واضطروا فى النهاية للإستسلام . وقد عامل البرتغال أهل أسفى بعد تسليمهم للسلطات البرتغالية ، أسوأ معاملة وأذاقوهم من العذاب ألواناً ، وأهانوا المعاهد الدينية فنقضوا بعضها حجراً على حجر ، بينما جعلوا المسجد الكبير محلا للقاذورات ، وعبثوا بالمحارم واستباحوا التجارة فى الأحرار فباعوا بعض أهلها جهاراً ، وسفكوا الدماء ونهبوا المال وضربوا الدور(١).

هذه صورة للطريقة التى اتبعها البرتغال لتثبيت أقدامهم فى ميناء أسفى وللمعاملة التى لقيها الأهالى منهم ، وهى صورة تكررت فى كل المناطق الأخرى التى مدوا نفوذهم عليها .

وكانت أسفى مسورة بسور عرف فيما بعد بالسور القديم كان الأهالى يحتمون به ويهاجمون الغزاة ، فلجأ البرتغال إلى هدم هذا السور وبنوا سوراً جديداً يحقق لهم التحكم فى البلد وهو ما أطلق عليه اسم (السور البرتغالى) وبقاياه باقية إلى اليوم . وأشير إلى أن البرتغال لجأت لوسائل متعددة لكنها متشابهة لوضع أيديها على كافة الأماكن الصالحة لرسو السفن أو التى يمكن إعدادها ببعض الجهد لتكون موانى تجارية أو حربية فى هذه المنطقة المحيطة بأسفى شمالاً وجنوباً .

فإلى الشمال من أسفى هناك لسان داخل فى البحر ، فسعى البرتغال لوضع أيديهم عليه بأيسر السبل ، وكانت لصياد دار صغيرة على هذا اللسان اشتراها منه البرتغال ، وفى ظل هذا التصرف بنوا برجاً سموه (سانت كروز — الصليب المقدس) وجعلوا له بابان أحدهما للبحر والآخر يؤدى إلى البر ، وأصبح هذا البرج مركزاً للجنود البرتغاليين الذين يذهبون لأسفى أو لغيرها من المناطق للتجسس والإعداد للأعمال

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الكانونى العبدى : أسفى وما إليه قديما وحديثا ١٣٥٣ هـ ص ٨٢ .

العسكرية وغيرها ، هذا ولعل خطاب سكان أسنى للملك عمانوئيل الأول المؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩ أى بعد أن بسط البرتغال نفوذهم عليها بفترة قصيرة — يعطى فكرة عن الأوضاع فى المدينة بعد إستيلاء البرتغال عليها وعن أسلوب البرتغال وسياستها الاستعمارية (١).

فقد وجدت السلطات البرتغالية فى تنازع شيوخ القبائل فيما بينهم فرصة لتحقيق أهدافها ، وبرز الخلاف على الخصوص بين يحيى بن تعففت و على بن عثمان ، وكان كل منهما يتقرب للمستعمر ليحصل على تأييده فيركن إليه بمشيخة البلد فى مقابل إخضاع الأهالى للسلطان البرتغالى ونفض الولاء للسلطات المغربية — ومن دراسة خطاب هذه الفئة من سكان أسنى للملك البرتغالى تتضح الحقائق الآتية :

١ — يتحدث السكان فى أول الخطاب الموجه إلى ملك البرتغال عن أسنى بأنها (بلده) أى بلد الملك البرتغالى — وهذا يوضح إلى أى حد وصل الأمر بهذه الفئة .

٢ — الهدف الأساسى من الخطاب هو الشكوى من تصرفات وسياسة القائد البرتغالى الأسنى وهو (Diogo De Azambuja) ، ويشيرون إنه كان بوسعهم الدخول فى طاعة سلطان مراكش لكنهم نقضوا ولاءهم له وارتموا فى أحضان البرتغال طواعية .

٣ — يشيرون إلى تعيين يحيى بن تعففت شيخاً للبلد ليكون — كما قالوا — قنطرة بين المسلمين والحكام النصارى ، وإنه قبل هذا العمل تحت ضغط ودون رغبة منه ، لكن حدث خلاف بينه وبين الحاكم البرتغالى الذى أراد فتح أبواب أسنى لقبيلة بنى ماجر ، وانتهى الأمر بعزل يحيى بن تعففت وتعيين على بن عثمان شيخ القبيلة المذكورة فعاثوا فى الأرض فساداً دون أن يحرك العامل البرتغالى ساكناً لحماية الأهالى ومعاقبة المذنب .

٤ — يوضحون كيف يعيث الجنود البرتغال فساداً فى البلد ، حتى أنهم أصبحوا يقبضون على أولاد المسلمين ويبيعونهم كالرقيق ، فاضطر الأهالى من قبائل المصامدة وغيرها لهجرة البلد .

---

(١) أصل الوثيقة المذكورة موجود فى (Archives Nationales de la Torre do Tombo Casa dos Tratados : Documents Arabes وصورتها مرفقة مع هذا البحث) .

٥ — يشكون مما أصاب الجوامع والصوامع من سرقة الحصر ، وتدنيس دور العبادة هذه وهدمها والإستيلاء على الأوقاف (الأحباس) الموقوفة عليها .

٦ — يحذرونه من أن الرجل الذى انحاز إليه عامله وهو على بن عثمان فى الوقت الذى يدعى أنه يعمل فيه لحسابه — يتصل بسلطان مراكش ومولاى زيان بأزمور ، ويذكرون أن جميع القبائل (قبيلة عبد ، رحراحة ، زناتة ، دكالة) تؤيد تعيين يحيى بن تعفقت ولا تساند على بن عثمان — إلا قبيلة واحدة هى بنى ماجر .

٧— يشيرون إلى أنهم هم الذين يسروا لعامله أمر الإستيلاء على أسفى ، فلم يستول عليها بقوته فليس له فضل فى ذلك (١) . ويمتدحون القائد الآخر الذى أرسل بعد ذلك وهو بيدرو دى أزفيدو (Perdo de Azevedo) لأنه لين العريكة متواضع فيطلبون أن يبقى هذا القائد فى بلدهم وأن يعاد الأمر لنصابه فيما يتعلق بحماية المساجد وإعادة الأسرى ، وتعيين شيخ على البلد ممن يثق بهم الأهالى خلاف على بن عثمان حتى يرجع من ترك البلد من أهلها وتعود لها الحركة والحياة التجارية .

٨ — ويحذرونه من الإستماع لرأى المرشدين الذين قدم لهم ديجو دى أزامبيجا (Diojo de Azambuja) الرشاوى من خيول وعبيد ليشهدوا لصالحه .

هذا وقد تبدل الحكام الإقليميون البرتغال على أسفى ، ويعتبر نينو فرناندس دى أتيد (Nuno Fernandis) de Ataide) الذى عين حاكماً عليها فى عام ١٥١٠ وبقى حتى وفاته عام ١٥١٥—أبرز هؤلاء الحكام لأنه هو الذى ثبت أقدام الحكم البرتغالى ورسم سياسة البرتغال هنا لسنين عدة ، وقد استطاع إخضاع القبائل بين أسفى ومراكش لنفوذ البرتغال — على أن شخصية يحيى بن تعفقت الذى أعيد لمشيخة البلد وسلم زمام الأمور المتعلقة بالمسلمين بها تعتبر أيضاً من الشخصيات الهامة التى استند عليها الحكم البرتغالى هنا ، وقد أدى خدمات ضخمة للمستعمر ، وظل يعمل لحسابه حتى قتل فى عام ١٥١٨ واعتبر البرتغال فقده خسارة لا تعوض ، حتى أن الوثائق البرتغالية التى ترجع لهذه الفترة تذكر مقتله . وقتل ملك بن داود

---

(١) بالطبع هذا إعتراف لا يشرفهم كمواطنين .

سنة ١٥٢١ الذى لعب نفس الدور كما سنشير فى سانتاكروز (أكادير) — على أنه ضربة أصابت عمودين من أهم الأعمدة التى يقوم عليها النفوذ البرتغالى فى الثغور المغربية ، وكانت بداية لإنهيار هذا الحكم نهائياً .

وقد أعطى البرتغال ليحيي بن تعففت حرية التصرف فيما يتعلق —بشئون المسلمين حتى أنه وضع التنظيمات وسن القوانين التى تنظم علاقات السكان بعضهم بالبعض الآخر ، وكان ينيب عنه من يقوم بالفصل فى الخصومات بين الأهالى إلى غير ذلك من الشئون الداخلية (١) . وظلت الشكاوى ضده للحاكم البرتغالى لأسفى تتوالى حتى اغتيل(٢) .

ومنذ عام ١٥٠٦ كان البرتغال قد بسطوا نفوذهم على مدينة الصويرة الواقعة على بعد ٣٨ كيلومتراً جنوبى أسفى على مصب نهر تانسيفت (Tensift) . وعلى بعد ١٧٠ كيلومتراً من الصويرة يوجد مرسى أكادير ، وكانت لهذا الميناء أهمية خاصة باعتباره المنفذ لحاصلات سوس ومنتجاتها الوفيرة بالإضافة إلى أنه مرفأ صالح لرسو السفن التجارية الأوربية،ولم تغب هذه الأهمية عن أنظار البرتغال . ويرجع النفوذ البرتغالى فى أكادير إلى السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، فحوالى عام ١٥٠٢ كان شاب برتغالى مغامر يدعى جوالوبس دى سيكيورا (Joao Lopes DE Sequira) يسعى لعقد اتفاقات تخول له وضع يديه على منطقة أو أكثر من الساحل المغربى على المحيط الأطلسى تتيح له فرصة القيام بنشاط تجارى وخلافه فى هذه المناطق التى كانت الأضواء قد أخذت تسلط عليها منذ السنوات الأولى للكشوف الجغرافية الحديثة ، ولفتت نظره بالذات المناطق المحيطة باكادير شمالاً وجنوباً ، وكان البرتغال قد ارتبطوا فى عام ١٤٤٧ باتفاقات مع شيوخ بعض القبائل فى هذه المناطق (منطقة ماسة بالذات) تخول لهم بعض

---

(١) أنظر الوثيقة الخاصة بالتنظيمات التى أصدرها يحى بن تعففت لأهالى أسفى والأصل فى : (Archives Nationales de la Torre de Tombo Casa dos Tratados — Documents Arabes) وصورتها مرفقة مع البحث ، والوثيقة الأخرى الخاصة بتعيين رؤساء القبائل بأسفى والمناطق المجاورة .

(٢) أنظر الشكوى المقدمة من لحسن لمجط فى ١٢ أكتوبر ١٥١٢ للقائد البرتغالى نينو فرناندس دى أتيد (Nuno Fernandes de Ataide) ضد يحى بن تعففت — والخطاب الآخر المؤرخ فى ديسمبر ١٥١٢ منه ومن أربعة آخرين من سكان أسفى للقائد المذكور بنفس المعنى .

الحقوق والإمتيازات التجارية ، ولم يجد البرتغال فى هذه الجهات مقاومة كبيرة من السكان أنفسهم ، لكن العقبة الحقيقية التى سيواجهونها فى المستقبل ستكون من الأسبان الذين كانت أنظارهم مسلطة على جزر كناريا المواجهة للساحل المغربى فى هذه الجهات ، وقد وقعت هذه الجزر فى أيديهم منذ عام ١٤٧٦ و أصبحت من أهم المحطات البحرية لسفنهم وهى تعبر الأطلنطى خلال الخمسين سنة الأولى من اكتشاف واستعمار الأمريكتين(١) وسنشير فيما بعد بتفصيل أكثر للوسائل التى اتبعتها البرتغال لتثبيت أقدامها فى منطقة ماسة بالذات .

على أن هذا الأسلوب من المغامرات الذى يتمثل فى نشاط جوا لوبس (Joao Lopes) شهدت القارة الأفريقية منـــه الكثير فى بداية عصر الإستعمار الأوربى لها ، وكانت مغامرات أمثال هؤلاء الأفـــراد أو الشركات واتصالاتهم بالسلطات غير الشرعية وعقد المعاهدات معها دون أى اعتبار للسلطات الشرعية مقدمة للاستعمار الرسمى الحكومى(٢) .

وكان الشاب البرتغالى لوبس (Lopes) يلقى تأييداً من الملك عمانوئيل الأول لكن بصفة غير رسمية ، فقد كان هذا الملك يتحاشى الدخول فى نزاع سافر مع الأسبان ، حتى أن لوبس (Lopes) أضطر للاعتماد على ثروة زوجته للصرف على أوجه نشاطه فى هذه المناطق الساحلية بالمغـــرب . وفى أوائل ١٥٠٨ كان قد وفق فى بناء حصن فى المنطقة الواقعة شمال أكادير (فونتى) أطلق عليه اسم سانتا كروز دى نيبا (Santa Cruz de Naiba) ، كما استطاع اتخاذ نقطة ارتكاز أخرى فى ساحل ماسة ، لكنه كان فى حاجة لقوة عسكرية للاحتفاظ بهذه المناطق ولحماية نشاطه خاصة أنه كان يجد منافسة ومعارضة قوية من السفن الأسبانية والجنوية والفرنسية ، ولذا فقد عرض لوبس (Lopes) على الملك عمانوئيل أن يتنازل

---

(١) فيما يتعلق بنشاط الأسبان فى جزر كناري أنظر :
Johnston,A History of the Colonisation of Africa by Alien Races(Cambridge 1913)P. 116

(٢) من أبرز الأمثلة لهذا النشاط الألمان فى غرب أفريقيا وشرقها من أمثال كارل بيترز (Dr. Karl Peters) وغيره قبل دخول (بسمارك) وحكومته فى هذا الميدان ، كذلك جهود (سيسل رودس (Cecil Rhodes) التى ترتب عليها بسط النفوذ البريطانى على مناطق شاسعة فى جنوب القارة .

للحكومة البرتغالية عن كافة حقوقه فى هذه المناطق ، وتم هذا العمل فى عام ١٥١٣ ، فحلت الحكومة البرتغالية محله وعينت فرنسسكو دى كاسترو (D. Francisco De Castro) للنهوض بأعباء هذه المنطقة تحت إشرافها ، وهكذا بدأت المرحلة الثانية من هذا النشاط الإستعمارى الذى — كما ذكرنا — نجد أمثلة عديدة له فى تاريخ أفريقيا الإستعمارى وعلاقتها بأوربا .

وكانت فترة وجود فرنسسكو دى كاسترو (D. Francisco De Castro) فى هذه الجهات والتى استمرت لمدة تسع سنوات (١٥١٣ — ١٥٢١) فترة نشاط حقيقى ، فقد أكمل القلعة البرتغالية فى سانتا كروز وجعل لها أبراجاً وأحاطها بسور لحمايتها ، وجعل لها باباً على البحر وآخر للبر ، كما أعد الميناء للتجارة ولاستقبال السفن فعادت إليه الحياة ، وأصبح مركز الحركة التجارية فى المنطقة ، حيث كانت تصدر منه كميات كبيرة من الجلود ، والصوف ، والذهب ، والنحاس ، وشمع العسل ، والعبيد . كما كان يستقبل السفن المحملة بالبضائع الأوربية التى تجد لها أسواقاً عند الأفريقيين . وكانت السلطات البرتغالية تتقاضى ضرائب على السفن الداخلة أو الخارجة من الميناء ، وقدر عدد أفراد الحامية البرتغالية فى الحصن فى عام ١٥١٤ بـ ٧٠٠ جندى نظامى ، خلاف الجنود غير النظامين وأفراد القبائل الموالية للبرتغال والتى كانوا يستعينون بها وقت اللزوم . وأتخذت إجراءات لتزويد هذه المنطقة بما تحتاجه للتعمير من أخشاب أو مؤن كالقمح ، وكانت بعض القبائل فى المناطق الداخلية تخشى تنكيل السلطات المغربية بها ، إذا تعاملت مع البرتغال — لكن استطاع الحاكم البرتغالى د. فرنسيسكو أن يجد فى المعادين للسلطات المغربية سنداً له ، ومن هؤلاء شخصية لعبت لحساب البرتغال دوراً هاماً وكثر ترديد أسمه فى الوثائق البرتغالية بالذات — هو ملك بن داود أحد رؤساء القبائل التى دانت بالولاء للبرتغال ، والكتاب البرتغال يشبهون دوره فى سانتاكروز بدور يحى بن تعففت فى أسنى . فقد كان اليد اليمنى للبرتغال فى تأمين مصالحهم التجارية فى هذا الميناء ، بل بسط نفوذهم على مساحات واسعة من الساحل المقابل لمنطقة سوس . ولذا حين ترك فرنسيسكو كاسترو D. Francisco de Castro المنطقة نهائياً فى عام ١٥٢١ كان قد بسط نفوذ البرتغال على منطقة واسعة وأصبحت أقدامهم

راسخة فى هذه المنطقة الساحلية . وتعتبر فترة إدارته أزهى فترة بالنسبة للاستعمارى البرتغالى للمنطقة ، فمنذ رحيله حتى سقوط سانتاكروز فى مارس ١٥٤١ (أى فى أقل من عشرين سنه) تعاقب على هذه المنطقة أحد عشر حاكماً ، فلم تتسم فترة حكم أى منهم بالاستقرار ، كما سنوضح بعد ، حتى أن وضع الحامية البرتغالية نفسها أصبح حرجاً ، وأصبحت تفتقر للسلاح والرجال . ولم يستطع البرتغال أن توجه لها العناية الضرورية — حتى أنه ظهر أنها فى خضم مشاكلها المتعددة نسيت أن لها حامية ومصالح فى هذه المنطقة كما يقول (فريجينية) (١) أما عن ماسة التى أشرنا لأهميتها من قبل ، فالوثائق البرتغالية تمدنا بمعلومات هامة عن الظروف والوسائل التى ثبت البرتغال عن طريقها أقدامهم فى هذه الجهات ومدوا نفوذهم فيها . ففى وثيقة مؤرخة ١١ يناير ١٤٩٧ (محفوظة فى الأرشيف البرتغالى) نجد ثلاثة من شيوخ وأعيان هذا الميناء هم (الشيخ عبد العزيز ، وحمو بن بركة ، وسيدى يحيى) يعلنون ولاء قبائلهم للسلطات البرتغالية ، ويوقعون معاهدة صداقة مع البرتغال جاء فيها (٢):

١ — أنهم يتعهدون بدفع مبلغ من المال سنوياً رمزاً لتبعيتهم للبرتغال .

٢ — تعفى كل أجفان (أى مراكب) ملك البرتغال التى ترد لماسه من الضرائب الجمركية .

٣ — يسهلون مهمة مندوبى ملك البرتغال فى شراء الخيول التى يحتاج إليها البرتغال .

٤ — يسمح للبرتغال ببناء قلعة فى المكان الذى تراه مناسباً لذلك ، ويتعهدون بتقديم الماء العذب والمؤن التى يحتاجها العمال الذين يعملون فى تشييد هذا الحصن ، ولا يسمحون لأحد بأن يشغله بعد إتمامه إلا من يختاره الملك البرتغالى .

---

(١) M. Friganier : Historia de Santa Cruz P. 119

(٢) الأصل العربي للوثيقة غير موجود — لكن الأصل البرتغالى مع ترجمة فرنسية موجود فى :
Archives Nationales de la Torre de Tombo Livrodas Ihlas, fol. 50 copie XVI sicle

٥ — يتعهدون بعدم التفاوض مع أية جهة أخرى دون إعلام ملك البرتغال مسبقاً .

٦ — يبدون إستعدادهم لتقديم إثنى عشر من أبناء أشرافهم كرهائن بالبرتغال على أن يعاملوا معاملة حسنة ، وذلك حتى يتم إقامة القلعة ولضمان استتباب الأمن فى إقليمهم .

٧ — فى مقابل هذا يعتبر ملك البرتغال أهل ماسة من رعاياه ويمكنهم من المتاجرة فى البرتغال ، ومع الأقطار الأخرى الموالية لها ، على ألا تنقل بضائعهم للخارج إلا على سفن برتغالية .

وفى خطاب مؤرخ ٢٨ ربيع الأول ٩١٦ هـ (٦ يوليه ١٥١٠) يعبر أهل ماسة للملك عمانوئيل الأول عن ترحيبهم لقـــراره ، بارسال قـــوة من خمسين فارساً لحماية القلعة البرتغالية التى بنيت بهذا المكان ، ويذكرون أنهم بسبب انضوائهم تحت لوائه شنت عليهم بعض القبائل المعادية هجوماً وقتلوا ٢٥ رجلا من خيرة رجالهم — ورغم هذا فإنهم لا يجدون من البرتغال أية حماية فسفنهم التى تبحر إلى أسفى للتجارة ، يهاجمها الأسبان ويستولون على بضائعها ، ويذكرون أن الأمر وصل إلى أن جو لوبس (Joao Lopes) البرتغالى والذى يعتبر ممثل الملك فى ماسة لا يتورع عن شراء أولاد وعبيد شيوخ ماسة الذين يقعون فى أيدى اعدائهم ويذكر شيوخ ماسة فى خطابهم أنهم أرسلوا للملك مندوباً عنهم لشرح وجهة نظرهم هو (بعز) ويطلبون إما أن يظهر الملك سطوته ويحمى الحصن الذى رفعوا عليه أعلامه ، ويحميهم هم ، أم أنهم سيضطرون للجوء لمن يستطيع توفير الحماية لهم ، حتى لو كان يهودياً ، فقد أصبحوا اضحوكة فى نظر القبائل الأخرى التى تتنذر عليهم بانهم (زعموا أنهم تحت أمان النصرانى — فرجعوا فارغين لا لمتاعهم ولا لدينهم) — والوثيقة المذكورة بتوقيع محمد بن على ، ويعقوب بن على ، ويحيى بن محمد ، وحمو بن بركة(١) .

ومن هذه الوثيقة يتضح لنا أنه حتى ذلك الوقت (١٥١٠) لم تكن سلطة

---

(١) Archives Nationales de la torre de Tombo Casa dos Tratados

البرتغال الرسمية قد بسطت على هذه المنطقة ، وأن البرتغال كانت تعتمد على إرتباطاتها مع بعض شيوخ القبائل ، وكان لوبس (Lopes) يعمل لحساب البرتغال هنا — لكن كانت تعوزه القوة العسكرية لحماية الحصن الذى أقيم فى المنطقة ولفرض هيبة البرتغال على كافة القبائل بها — وهذا ما تحقق فى هذه المنطقة كلها كما ذكرنا سابقاً ابتداء من ١٥١٣ .

ومن المناطق الهامة التى بسطت البرتغال نفوذها عليها أيضاً فى الساحل المغربى منطقة أزمور وهى ميناء هـــام تصدر منهـــا حاصلات قبيلة دكالة ومنتجاتها المتنوعة الزراعية بالإضافة إلى الخيول ونوع من السماد الممتاز و الرقيق . وكان جيان الثانى Jean II قد نجح عام ١٤٨٦ فى عقد معاهدة مع شيوخ أزمور ، كان من شروطها أن يسمح ببناء حصن برتغالى فى أزمور . وجددت هذه المعاهدة فى ١٢ يناير ١٤٩٧ فى عهد عمانوئيل الأول على أن تبقى سارية المفعول لمدة ١٥ عاما. والوثائق البرتغالية لا تخبرنا بمعلومات كثيرة عن علاقات أزمور بالبرتغال فى الفترة ما بين (١٥٠١ ، ١٥١٣) ،وكل مايمكن أن نستنتجه من هذه الوثائق — أن المقيم البرتغالى فى ازمور مارتين رينل (Martin Reinel) توفى فى عام ١٥٠٢ فحل محله ريو جيل (Rui GiL) ، لكن هذا ألاخير لم تكن— كما يبدو—علاقته بأهل أزمور طيبة ويبدو أنه صدرت له أوامر من الملك عمانوئيل بتنفيذ الشرط الذى تضمنته المعاهدة مع الأهالى ببناء قلعة فى أزمور ، وحين حاول هذا المقيم البرتغالى تنفيذ هذا الأمر رفض ألاهالى السماح له بذلك ، فكانت هذه بدايةالصدام بين الطرفين . وحـــدث فى عام ١٥٠٤ أن تعرضت بعض السفن التجـــارية البرتغالية الراسية فى ميناء ازمور — للهجوم والنهب من السكان ، وقدم سكانأزمور اعتذاراً للملك عن هذا الحادث ، ووعدوا برد كل مانهب ، وكما يذكر الملك البرتغالى فى خطابه لأهل أزمور — إنه كان فى نيته أن ينزل العقـــاب بالذين قاموا بهذا العمل لكن بتوسط زوجته التى لايرد كلامها قبل الصفح عنهم ، ولكنهاشترط أن يقدموا كمية كبيرة من القمح رمزاً للصداقة وليغيظوا الأعداء ويفضحوا كذبهم ووشايتهم(١) .

---

(١) الأصل فى Archives Nationales de la Torre do Tombo, Casa dos Tratados- Documents Arabes.

على أن الخلافات بين أفراد البيت الوطاسى فى عام ١٥٠٦ ــ ١٥٠٧ أدت إلى أن يلجأ مولاى زيان إلى أزمور حيث كان له أنصار بها وذلك للخلاف بينه وبين محمد بن محمد الشيخ البرتغالى(١) .

وفى هذه الأثناء كان الملك عمانوئيل الأول يفكر جدياً فى إحتلال أزمور احتلالاً كاملا ، وكان قد مهد لذلك ببناء حصن مزكان (البريجة)(٢) .

ويقال إنه أوفد العمال والبنائين يصحبهم عدد من رجال جيشه لحمايتهم فشرعوا فى البناء ليـــلاً ونهاراً وبنوا بها حصناً مربعاً اتخذوا فى وسطه خزاناً للمياه وسوروا المدينة بسورين أحدهما خارجي والآخر داخلي وعملوا بالسور خندقاً يؤدى للبحر ــ كما جدد الملك البرتغالى حصن سانتاكروز ، وانتهز فرصة الخلاف بين الوطاسيين لتحقيق أحلامه فى الاستيلاء على آزمور ، وكانت لها فى نظر البرتغاليين أهمية خاصـــة لانها مفتـــاح الطريق إلى مراكش ، وسافـــر مولاى زيان بنفسه إلى البرتغال ليدرس مع الملك مشروع الحملة على أزمور ، ولم يتحدد فى الوثائق ما يؤيد أن الملك استدعى هذا الثائر على سلطان الوطاسيين للبرتغال ليتدارسا معا مشروع الحملة ، فلا نستطيع أن نرجح الرأى القائل أن المبادرة كانت من هذا الخارج عن سلطة حكام المغرب أم بدافع وإيعاز من الملك البرتغالى . والنتيجة لا تختلف كثيراً طالما أن الاتفاق قد تم بين الإثنين لإتمام عملية الغزو التى أعدت لها حملة برتغالية كبيرة ــ وعاد مولاى زيان إلى ازمور ليمهـــد لعملية الفتح ، لكن يبدو أن الأمور استقرت له بأزمور دون الاستعانة بالبرتغال ، ولذا فحين وصلت الحملة البرتغالية إلى أزمور فى عام ١٥٠٦ لم تجـــد التيسيرات التى كانت تنتظرها ، وأضطرت للانسحاب . ولمـــا شعر مولاى زيان بان البرتغال يعدون العـــدة لحملة جديدة خشى عاقبة الأمر فأرسل للملك (عمانوئيل) يعرض التفاوض لعقدمعاهدة بين الطرفين وانتهى الامر فى ١٥١٠ ، إلى عقد معاهدة مماثلة لتلك التى عقدت فى

---

(١) حكم فاس (٩١٠ - ٩٣١ هـ / ١٥٠٤ - ١٥٢٤م) .

(٢) البريجة تبعد عن أسفى ١٥٠ كم شمالا ، وقد تهدمت أثناء حصار السلطان محمد بن عبد الله العلوى لها فسميت (المهدومة) ولكنها جددت وعمرت فسميت الجديدة ــ أنظر الكانونى مرجع سابق ص ٤٣ .

عام ١٤٨٦ وبموجبها أصبح من حق ملك البرتغال أن يبنى فى أزمور حصناً تقيم فيه حامية برتغالية بالإضافة إلى تيسيرات تجارية للبرتغال فى الميناء(١).

وظل العمل بهـــذه المعاهدة سائراً حتى عام ١٥١٣ . وكان الملك عمـــانوئيل يعد العـــدة طوال هذه المدة لبسط نفوذه كاملا على ازمور وتحقيق أحلامه فى الزحف على (مراكش) ذاتها. وفى ٢٠ أغسطس من هذا العام كانت الحملة على أهبة الاستعداد لتحقيق أهدافها ، وكان على رأسها دوق براجانس(Duc de Bragance) الذى لقب (بدوق البلاد فيما وراء البحار) . والحقيقة إن الوثائق البرتغالية تعطينا معلومات وافية عن الأحداث التى صاحبت هذه الحملة ، فهناك عدة خطابات بشأنها متبادلة بين البابا ليو العاشر وبين الملك عمانوئيل ، وهـــذا يدل على أن هذه الحملة كانت تتسم بالروح الصليبية (٢).

وكانت الحمـــلة مكونة من ٤٣٠ سفينة من أنواع مختلفة تحمـــل ٢٠,٠٠٠ جندى ، ووصل هذا الجيش الضخم أمام أزمور فى أول سبتمبر عام ١٥١٣ وبدأت مدافع البرتغال تصب نيرانها على المدافعين عن الميناء ، وإضطرت المدينة فى ٣ سبتمبر لفتح أبوابها للمهاجمين . ويذكر ليو الأفريقى إن المسلمين إضطروا لإخلاء المدينة والجلاء عنها تحت ضغط نيران القوات المهاجمة (٣).

وفى ١٩ سبتمبر أذاع الملك البرتغالى فى لشبونة خطاباً زف فيه إلى الشعب الأنباء عن فتح ازمور . وفى روما إستقبل البابا ليو العاشر خبر الإستيلاء على

---

(١) فى خطاب لأحد أشراف أزمور (على بن سعيد) – لعله من عيون البرتغال بالمنطقة وهو مؤرخ ١٥١٠ اشارة إلى إن مولاى زيدان يعمل حسب شروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين ، وأن مندوب الملك فى أزمور موضع رضى الأهالى (أنظر صورة الوثيقة فى ملحق البحث) .

(٢) جلس هذا البابا على كرسى البابوية فى الفترة (١٥١٣ – ١٥٢١) وهو من أسرة مدتشى Medici وكان إسمه قبل أن يصل إلى كرسى البابويه جوافانى ميدتشى (Geovanni de Medici) وهو الذى عاش فى كنفه فى روما الرحالة المغربى الحسن بن محمد الوزانى (ليو الأفريقى) ، وقد أطلق عليه البابا إسمه بعد أن عمده ، وقد ذاع إسم هذا البابا للدور الذى لعبه للدعوة لحملة صليبية لمواجهة خطر الأتراك العثمانيين ، وكذلك لموقفه من لوثر وأتباعه من الخارجين على الكنيسة الكاثوليكية .

(٣) أنظر الطبعة التى أشرنا إليها سابقاً P. 377 وكلمة أزمور معناها فى لغة البربر الزيتون ويصفها أبو الفداء بأنها أحد مدن بر العدوة وتسكنها قبائل من صنهاجة .

أزمور على أنه نصر للمسيحية ، وعلق على خطاب الملك بهـــذا الشأن بقوله : إنه يقدم له الشكر على هذا العمل الذى يسهم فى تحقيق رسالة المسيح (١) .

وبعـــد أن إستتب الأمر للبرتغال فى أزمور تقدم مستشارو الدوق بالنصيحة له بانتهاز الفرصة للسير إلى مراكش لفتحهـــا — لكنه تردد وأخيراً رفض الفكرة لأن الملك أعطى الأوامر — كما ذكر — باحتلال أزمور وليس مراكش . على أن إحتـــلال مراكش ظل هدفاً من أهـــداف البرتغال ستحاول تحقيقه كما ستحاول توطيـــد نفوذها فى حوض نهـــر سبو بهـــدف محاصرة فاس ومحاولة فتحها . وعلى الرغم من النكبات التى حلت بقوات الإحتلال البرتغالى فى ثغور المغـــرب فى عام (١٥١٤) نتيجة لموت دى جوا دى مينسيس (De Joa de Menses) فى أزمور فى ١٥ مايو ١٥١٤ ، وانتشار الطاعون بين الجنود البرتغال فى المغرب وبين القبائل المحالفة لهم — فان هذا لم يثنهم عن الإستمرار فى الإعداد للخـــروج من حصونهم الساحلية للـــزحف للداخل صوب فاس و مراكش منتهزين فرصة الإضطرابات التى كانت عليها الدولة الوطاسية التى كان ملوكها فى فاس يقضون أيامهم الأخيرة بينما كانت دولة أخرى — هى الدولة السعدية تشق طريقها للظهور على مسرح الأحداث ولتمسك بدفة البلاد فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها .

وفى صيف ١٥١٥ كان الموقف من وجهة نظر البرتغال مناسباً لتحقيق حلمهم فى غزو مراكش فقد كانت القبائل العربية قد بادر الكثير منها بعد إنتصار البرتغال فى أزمور — إلى إعلان ولائه لهم ، ووصل الأمر إلى تنافس بين كل من القائد البرتغالى فى أسفى نينو فرناندو دى أتيد (Nuno Fernande de Ataide) وقائد أزمور دى جوا دى منسيس (De Joa de Meneses) ليسبق كل غريمة فى دخول (مراكش) ، فقد ظنوا أنها نزهة تنتهى بهالة من المجد على رأس من يسبق إليها . على أن ملك فاس الذى أزعجته أخبار جيوش البرتغال وإستعداداتهم أرسل يعرض على البرتغال المفاوضة للصلح فقد كان إزدياد نفوذ السعديين وإلتفاف

---

(١) أنظر عنوان الخطاب المرسل من عمانويل الأول للبابا ليو العاشر يبشره بسقوط أزمور (تاريخ الخطاب ٣٠ سبتمبر ١٥١٣) .

الناس حولهم يقلق باله [1] . لكن شروط ملك البرتغال لم تكن معقولة ، فلم يكن فى الإمكان قبولها . . فقد طلب أن يسمح له ببناء قلعه برتغالية فى مراكش ، وأن يدفع له حكام فاس سنوياً مبلغاً من المال رمزاً للخضوع . وهكذا كان على كل من الطرفين المغاربة والبرتغال أن يستعد للمعركة الحاسمة ، وكان هذا العام ١٥١٥ فعلا عاماً حاسماً فى تاريخ البرتغال الإستعمارى فى المغرب العربى . . . وفيما يتعلق بمراكش كانت هناك إستعدادات من عدة جهات للمشاركة فى مهاجمة المدينة ، ففى الوقت الذى كان حاكم أزمور على رأس ٣,٠٠٠ رجل منهم ٥٥٠ برتغالى ، ٢٥٠ من الموالين للبرتغال قد تحرك فى أبريل ١٥١٥ صوب مراكش ، كانت قوة أسفى قد تحركت هى الأخرى مع ٤٢٣ من الفرسان فى إتجاه مراكش ، وكانت بعض قبائل الشرقية التى أعلنت ولاءها للبرتغال تستعد هى الأخرى للمشاركة فى هذا العمل ، ويبدو أن خريطة المدينة لم تكن مدروسة من قواد القوات المهاجمة فاختلفوا فيما بينهم فى تحديد الإتجاه الذى يسهل إقتحام المدينة منه ، وإتجه الرأى فى البداية على أن تقتحم المدينة من ناحية الباب المواجه لزاوية سيدى العباس السبتى فى الشمال — لكن حين أخذت القوات تعسكر فى هذا المكان إكتشفت أن المستنقعات تنتشر فيه بحيث تعوق تقدم الفرسان ، وكانوا يكونون قوة يعتد بها فى الجيش المهاجم ، فاتجهت القوات إلى منطقة باب فاس (باب الخميس) ، بينما قبائل الشرقية [2] الموالية للبرتغال إتجهت إلى مهاجمة المدينة من الشرق ، وأخرى من الجنوب فى مواجهة القصبة . وأدى هذا إلى تشتيت القوة المهاجمة خاصة أن الخطة لم تكن مرسومة على حصار المدينة لفترة طويلة. وإستمرت المعركة بين القوات المدافعة والمهاجمة أكثر من أربع ساعات إستطاعت فيها القوات المغربية داخل أسوار المدينة أن تكبد العدو المهاجم خسائر فادحة ، وأن تضطره للتقهقر فى ٢٢ أبريل ١٥١٥ بعد أن يئس من قدرته على إقتحام المدينة وكانت لهذا النصر نتائجه .

---

(١) كانت مبايعة قبائل درعة و السوس الأقصى و حاحة لأبى عبد الله القائم بأمر الله ٩١٥ هـ (بداية لتأسيس الدولة السعدية ، واستطاع السعديون فى عام (١٥٢٠) إنتزاع مراكش من الوطاسيين وإن كان الأمر لم يستقر لهم نهائياً فى فاس إلا فى (٩٢٧ هـ — ١٥٥٠ م) بعد مقتل أبى حسون آخر أمراء الوطاسيين .

(٢) كانت قبائل الشرقية موالية للبرتغال من مدة ، وهناك خطابان بالأرشيف البرتغالى موجهان=

فقد قوى نفوذ السعديين الذين كان لهم فضل قيادة المعركة فى الدفاع عن الدين ، وفى نفس الوقت شجع المغاربة على معاودة الهجوم على القوات البرتغالية فى الثغور المغربية ، هذا على أن البرتغال عاودوا محاولتهم للإغارة على مراكش مراراً لكن الأمر لم يخرج عن حدود المناوشات ، فقد كانت موجة المد فى الغزو الإستعمارى البرتغالى قد أخذت تنحصر . وإذا كان فشل البرتغال فى تحقيق أحلامهم المتعلقة بالتوسع من نقط أرتكازهم فى أسفى وأزمور إلى مراكش فى الداخل قد أضعف مركزهم — فان معركة المعمورة التى قصد بها توسيع نفوذهم فى حوض نهر سبو بهدف فتح الطريق نحو فاس تمثل الحلقة الثانية فى هذا الفصل الختامى من فصول نفوذهم الاستعمارى فى المغرب ، وكانوا قد جمعوا فى المعمورة (المسماة اليوم المهدية) قوة كبيرة قدرت بـ ٨,٠٠٠ مقاتل حيث أقاموا قلعة هناك تكون مركزاً للهجوم على فاس ، لكن رغم ماكنت تعانيه الدولة الوطاسية من الضعف فى أيامها الأخيرة هذه فقد هب الوطاسيون ومن خلفهم الآلاف من الشباب المغربى المتحمس للدفاع عن قلب بلاده،ولم يكتف المغاربة بالمقاومة بل شنوا هجوما على الحصون البرتغالية فى المعمورة فى يوليو ١٥١٥ وأسفرت المعركة عن قتل أكثر من أربعة آلاف من البرتغاليين واضطروا الناجين لأن يلوزوا بالأسطول البرتغالى الذى كان راسياً بالميناء فى محاولة للهرب ، وقد أغرقت من هذا الأسطول ثمانى سفن بحرية ، وهكذا كانت معركة المعمورة نذيراً آخر على انتهاء موجة المد الإستعمارى فى هذه البلاد ، ولذا فان جمهرة الكتاب البرتغاليين يعتبرون عصر عمانوئيل الأول قمة ما وصل إليه النفوذ البرتغالى فى المغرب[1] بينما يعتبرون عصر جيان الثالث (Jean III ١٥٢١ — ١٥٥٧) عصر تصفية هـذا النفوذ البرتغالى ، وإن كان هذا القول — كما يبدو — لايعطى صورة شاملة عن الواقع إذ أن عملية

= إلى الملك عمانوئيل الأول من هذه القبائل — الأول مؤرخ فى سبتمبر ١٥٠٧ تشكوفيه هذه القبائل من معامله ممثل الملك المدعو رى جيل ماجروا Ru Gil Magro والثانى مؤرخ فى أكتوبر ١٥١٦ تمتدح فيه الممثل الجديد للملك .

(١) مات جيان الثالث فى ١١ يونيه ١٥٥٧ وخلفه إبنه سيستيان (Sebastien) وكان طفلا صغيراً فحكم تحت وصاية الملكة كاترين وعمه الكاردينال هنرى وقد قتل هذا الأخير فى معركة وادى المخازن فى منتصف جمادى الثانية سنة ٩٨٦ هـ (٤ أغسطس ١٥٧٨) .

إنحسار المد الاستعمارى البرتغالى ، ثم تصفية هذا الاستعمار ترجع فى الحقيقة لعوامل متعددة بعضها تتصل بظروف البرتغال الداخلية والخارجة، والبعض الأخر يرجع لظروف المغرب نفسه ووثبة الحـــكام السعديين والقوى الشعبية لمجابهة العدو الإستعمارى ، وسنشرح ذلك بايضاح فيما بعد ، لكن لعل من الواجب هنا أن نقف وقفة لنلقى نظرة سريعة على الأوضاع فى المغرب وإنعكاساتها على الموقف من هذا العدو الإستعمارى . الصورة التى تعطيها لنا الوثائق المتبادلة فى هذه الفترة بين حكام فاس وحكام مراكش وبعض شيوخ القبائل وغيرهم من ناحية والملك جيان الثالث البرتغالى من ناحية أخرى—هى فى الحقيقه إنعكاسات طبيعية للأحداث التاريخية التى كان المغرب يمر بها. فالأمراء الوطاسيون وصلوا لدرجة كبيرة من الضعف فأصبحت عدة قبائل لا تعترف بسلطانهم ، كما أنهم لايجدون بداً من مسالمة العدو البرتغالى ، بينما يعمل السعديون على تثبيت أقدامهم فى مراكش والمناطق المحيطة بها إستعداداً لقيادة البلاد فى حرب التحرير المناطق المستعمرة ، وفى نفس الوقت يحاول البرتغال تثبيت أقدامهم فى المناطق التى استولوا عليها مستخدمين اسلحتهم القديمة لمحاولة كسب تأييد ومعاونة بعض ضعاف النفوس من شيوخ القبائل ، هذا وتنعكس حالة الضعف التى كانت عليها البرتغال على مستعمراتها الأخرى فى الهند وامريكا . والوثائق تمدنا بمعلومات وافية عن اتفاقية عقدت فى ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢هـ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥) بين الملك جيان الثالث والأمير السعدى حددت فيها مناطق البرتغال فى أســـفى وازمور بالذات التى يحق لهم فيها الســـكنى واستغلال الأرض ، كمـــا نصت الإتفاقية على التصريح لهم بالاتجار مع المدن الإسلامية فيما لا يحرم الاسلام تداوله من السلع ، وقد وقع على هذه الاتفاقية كل من حاكم أسفى وأزمور وعن البرتغاليين إثنان من ممثـــلى الملك البرتغالى هما ماتشادا (Machda) والآخر إبراهيم رابين (Rabbin) اليهودى (١)

لكن يبدو أن البرتغال لم يحترموا ما تعاقدوا عليه ، ففى ٢٤ صفر ٩٣٢ هـ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥) أرسل الأمير السعدى أبو العباس أحمد بن محمد القائم

---

(١) دخل عدد كبير من اليهود فى خدمة البرتغال – ونص الإتفاق موجود فى
Archives Nationales de la Torre do Tombo— Gaveta 20 Maco 4, No. 24.
وصورته مرفقة مع هذا البحث .

(الذى اشتهر بلقب الأعرج) ــ (١) خطاباً إلى الملك جيان الثالث ــ يذكر له إنه رغم الاتفاق الذى عقد ووقع من كل من حاكم أسفى وحاكم آزمور ــ فقد كثرت اعتداءات اتباعه على المسلمين وعلى ما يملكون من ماشية بالإضافة إلى قوافلهم التى تحمل المسافرين والبضائع ويطلب الأمير السعدى أن يوضع حد لهذه الإعتداءات وأن يعين أحد القضاة لأسفى للتحقيق فى هذه الأحداث (٢).

ويشير خطاب آخر للأمير السعدى مؤرخ فى ٢٢ جمادى الثانية ٩٢٣ هـ (٢٦ مارس ١٥٢٧) إلى وصول رد ملك البرتغال على الخطاب السابق ــ الذى سلم إلى (أبى عبد الله محمد الشيخ)(٣).وفى رده يعد الملك البرتغالى بالوفاء بالاتفاق السالف الذكر ويرجو أن يعمل حاكم مراكش بالمثل (٤).

وقد كان الحكام الوطاسيون فى فاس ــ فى هذه المرحلة الأخيرة من عمر دولتهم يرون أن مصلحتهم تملى عليهم أن يحتفظوا بصداقة البرتغال ، فقد كانوا يعلمون أن السعديين الذين أصبح لهم النفوذ فى مراكش يترقبون الفرص لتصفية الوجود الوطاسى فى فاس أيضاً . ورسائلهم لممثلى البرتغال فى الثغور المغربية تدل على ذلك ــ ففى رسالة مؤرخة أواخر ذى الحجة ٩٣٣هـ (سبتمبر ١٥٢٧) نجد مولاى مسعود يرسل باسم خاله ملك فاس (أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى) إلى حاكم أزمور يذكر إنهم على محبتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ويعتب

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد القاسم السعدى ــ بويع بالولاية فى حياة أبيه عام ٩١٨ هـ وجددت بيعته بعد ذلك بعد وفاة أبيه فى عام ٩٢٣ هـ . وقد إنتقل لمراكش فى عام ٩٣٠ هـ بعد انتزاعها من أيدى الوطاسيين الذين كانت لا تزال سلطتهم فى فاس . وقد غلب السعديون على فاس ٩٥٦ هـ .

(٢) الوثيقة موجودة فى الأرشيف البرتغالى Archives Nationales de la Torre do Tombo
Casa dos Tratados. Docaments Arabes.

(٣) أبو عبد الله محمد الشيخ ــ هو شقيق السلطان أبى العباس ــ الأعرج وكان والياً لأخيه على سوس ، وقد حكم بعده (١٥٤٤ ــ ١٥٥٧ م) .

(٤) الخطاب موجودة صورة منه فى :
Archives Nationales de la Torre do Tombo. Gaveta 20 Maco 4. No. 11
وصورته مرفقة مع البحث .

لوصول رسولهم اليهودى دون أن تكون معه رسالة رداً على رسالتهم للسلطان البرتغالى ، ويذكر إنهم لم يتعودوا منه هذا الشىء (١).

وقد غلبت روح المسالمة على الخطابات المتبادلة فى مختلف المناسبات بين السلطان الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ ورجاله من ناحية وبين حكام البرتغال من ناحية أخرى . فحاكم سلا (محمد بن لحسن زنبق) فى خطاب له أرسل إلى حاكم أزمور (غير مؤرخ لكن يرجح أنه فى إبريل ١٥٣٠) — بشأن طلب إعادة أسير هرب من عند سلطان فاس وسرق منه (لجامين) للخيول أحدهما مرصع بالذهب — يشير إلى الصداقة بين البرتغال وحكام فاس ويشير فى الخطاب إلى أنه من جهة أهل المغرب فانهم يتكلفون بمنع أى ضرر يصيب البرتغال منهم — والأرجح أن الأشارة هنا إلى حكام مراكش من السعديين(٢).

هذا على أن السعديين على الرغم من أنهم لم يكونوا قد بسطوا نفوذهم بعد على كل بلاد المغرب — إذ لم يستقروا نهائياً فى فاس الا فى شوال ٩٦١ هجرية ١٥٥٣ م — فقد كان موقفهم من المستعمرين البرتغال أكثر صلابة — فقد وجه الأمير السعدى ابى العباس أحمد (الأعرج) خطاباً إلى جيان الثالث Jean III فى ٢٣ ربيع الأول ٩٣٦ هـ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) بشأن شخص ارتد عن الاسلام . ومن دراسة هذا الخطاب يتضح لنا :

١ — أن الأمير السعدى يلقب نفسه بسلطان مراكش وأحوازها ، وحاحه وأحوازها ، وسوس وأقطارها ، ودرعه وأعمالها ، وتوجرارين وما والاها ، وادى نون وما قاربها ، وهى الأقاليم التى كانت حتى ذلك الوقت (٩٣٦ هـ — ١٥٢٩ م) قد بايعت السعديين بالخلافة .

---

(١) صورة الخطاب مرفقة هنا — وهو موجود فى : Archives Nationaies da la Torre do Tombo. casa dos Tratados Documents Arabes والسلطان أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى — المشار إليه هنا — هو حاكم فاس (٩٣١ هـ—٩٥٦ هـ) وقد أسر فى عام (٩٥٦) أثناء الحروب مع السعديين — وخلفه السلطان أبى حسون للمرة الثانية وهو آخر ملوك الوطاسيين وبموته إنتهت الدولة الوطاسية.

(٢) الخطاب موجود فى : Archives Nationales de la torre do Tombo—Casa dos tratados. Documents Arabes والصورة مرفقة مع البحث

٢ ــ يذكر له إن الواجب يقضى فى حالة من يرتد عن دينه أن يعود لوليه ويقضى معه فترة فاذا اقتنع بعد ذلك بالرجوع لدينه كان بها وإلا فله أن يختار الدين الذى يراه .

وهذا الخطاب يدل على صلابة السعديين وعدم تهاونهم فى أى حق من حقوقهم أو حقوق رعاياهم(١).

هذا على أن الثغور المغربية ــ عامة فى بداية عهد جيان الثالث الذى حكم من (١٥٢١) كانت فى حالة سيئة وأخذت حالتها تنتقل من سىء إلى أسوأ ، بعد أن ضعفت سلطة الدولة الأم (البرتغال) على رجالها ، فأصبحوا يسومون الأهالى العذاب ، ولم تكن من رقابة عليهم سوى ضمائرهم ، ولعل شكوى أهل أزمور المؤرخة فى ١٥٢٩ تعطى صورة عن الحالة التى وصلت إليها فى ذلك الوقت معظم الثغور المغربية الواقعة تحت أيديهم ــ فهم يشيرون لما أصاب البلاد من نهب للأملاك ، وللأهالى حتى أصبحت خراباً .

ولهجة الخطاب تدل على مبلغ ما يشعر به أهل أزمور نتيجة للظلم الواقع عليهم. فهم يخاطبون الملك البرتغالى ــ بكل شجاعة ذاكرين له (إن ذنوبهم فى رقبته وأنه إن كان سلطانا قادراً فان الله أقوى منه) :

والحقيقة إنه بوصول الأمراء السعديين إلى الحكم فى المغرب تطوى صفحة من صفحات الصراع الطويل بين المغرب والبرتغال لتبدأ صفحة جديدة من هذا الصراع .

على أن المغرب لم يواجه فى هذه الفترة فى ظل حكم السعديين ــ المستعمر البرتغالى فحسب ــ لكنه واجه محاولة غزو أخرى تمثلت فى أطماع الدولة العثمانية التى كانت قد مدت نفوذها على المشرق العربى ، ثم اتجهت إلى المغرب العربى ، ومنــذ أمتد النفوذ العثمانى إلى الجزائر ، وبعد استيلائهم بالذات على تلمسان القريبة من حدود المغرب الشرقية دخلت العلاقات المغربية التركية فى دور حرج .

---

(١) صورة الخطاب موجودة فى الأرشيف البرتغالى ومرفقة هنا .

لكن المغرب استطاع فى هذه المرحلة الجديدة من كفاحه أن يتخلص من الإستعمار البرتغالى ، وأن يصمد فى وجه الاطماع العثمانية .

ولا شك فى أن هذه الصفحة الجديدة من الكفاح بمعاركها التاريخية الحاسمة — تستحق دراسة أخرى منفصلة فنرجو أن نتناولها فى بحث قادم إن شاء الله .

والله ولى التوفيق

ملحق البحث

ننشر فى هذا الملحق صوراً لبعض الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث ، والتى أشرنا إليها فى هوامش البحث ذاته — مع إعادة كتابة كل وثيقة منها مع الشرح والتعليق لتيسير مهمة الاستفادة منها — لأنه رغم الجهد الذى تتطلبة هذه الوثائق ليمكن قراءتها والتحقيق من ألفاظها ومدلولها — فإن قيمتها تبرر كل جهد يبذل فيها .

والأمل أن يتسع لنا المجال مستقبلا لنشر عدد أكثر من هذه الوثائق الهامة المتعلقة بتاريخ البرتغال الإستعمارى فى المغرب العربى فى هذه الفترة لأهميتها فى كشف الكثير من الأحداث التى لا تتضح على حقيقتها إلا من خلال هذه الوثائق الأصلية .

ولعل الوثائق المنشورة هنا تؤكد هذه الحقيقة

بيان بالصور والوثائق الأصلية الواردة فى الملحق

١ ــ بقايا الحصن البرتغالى بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات بتطوان) .

٢ ــ خطاب الملك جيان الثانى (Jean II) إلى قائد أسفى وسكانها (الأصل العربى مرفق معه فى نفس الورقة الأصل البرتغالى وهو مؤرخ ١٦ أكتوبر ١٤٨٨ موجود بالمحفوظات بلشبونة) .

٣ ــ خطاب سكان أسفى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) يشكون من تصرفات عاملة مؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩ ــ (الأصل بالمحفوظات بلشبونه) .

٤ ــ تنظيمات يحى بن تعفت الذى كان يعمل لحساب البرتغال فى مدينة أسفى . مؤرخ أول ربيع الثانى ٩١٨ هـ / ١٢ــ٢٥ يونيه ١٥١٢ م (الأصل بالوثائق بلشبونة) .

٥ ــ خطاب من الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) إلى مواطنى أزمور ــ مؤرخ ٢٢ أبريل ١٥٠٤ (الأصل بالمحفوظات بلشبونة) .

٦ ــ خطاب على بن سعيد من أشراف أزمور إلى الملك عمانوئيل الأول ــ مؤرخ أول شعبان ٩١٦ هـ ــ ١٢ نوفمبر ١٥١٠ (الأصل بالأرشيف بلشبونة).

٧ ــ عنوان خطاب الملك عمانوئيل الأول إلى البابا ليو العاشر يبشره بالإستيلاء على أزمور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣ (الأصل بالمحفوظات بلشبونة) .

٨ ــ الهدنة المعقوده بين مولاى أحمد الشريف السعدى وملك البرتغال جيان الثانى مؤرخة ذى الحجة ٩٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٥٢٥ (الأصل بالمحفوظات فى لشبونه) .

٩ – خطاب مولاى أحمد الشريف السعدى إلى ملك البرتغال جيان الثانى – مؤرخ ١٠ ديسمبر ١٥٢٥ – (الأصل فى المحفوظات بلشبونة) .

١٠ – خطاب من مسعود بن ناصر نعاس (أثناء حكم أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى) إلى حاكم أزمور بشأن أسير هرب إلى أزمور مؤرخ ١٧–٢٦ سبتمبر ١٥٢٧ (الأصل بالأرشيف بلشبونة) .

١١ – خطاب سكان أزمور إلى الملك جيان الثالث ملك البرتغال يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم مؤرخ فى أزمور ٢٠ أبريل ١٥٢٩ (الأصل بالأرشيف بلشبونه).

١٢ – خطاب الأمير السعدى أبى العباسى أحمد (الأعرج) إلى جيان الثالث ملك البرتغال– مؤرخ ٢٣ ربيع الأول ٩٣٦هـ –٢٥ نوفمبر ١٥٢٩ (الأصل بالأرشيف بلشبونة) .

١٣ – خطاب من محمد بن الحسن زنبق قائد سلا فى عهد الأمير الوطاسى أحمد بن محمد الشيخ إلى قبطان مدينة أزمور البرتغالى مؤرخ ٦ أبريل ١٥٣٠ (الأصل بالأرشيف البرتغالى) .

١٤ – خريطة توضح الأطماع الأجنبية فى المغرب فى القرن السادس عشر الميلادى (العاشر الهجرى) .

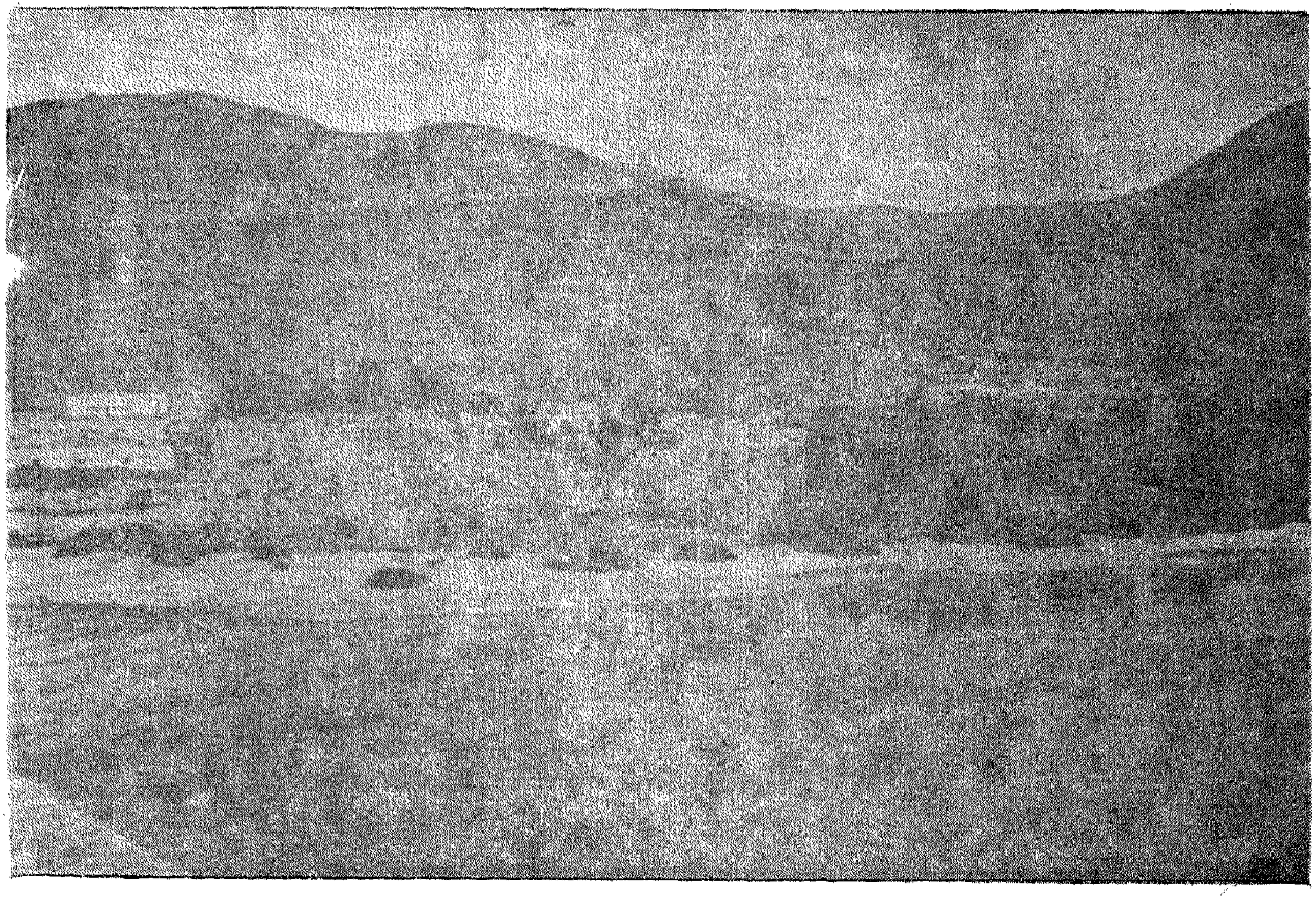

١ ـ بقايا الحصن البرتغالى بالقصر الصغير (الأصل بالمحفوظات ـ بتطوان)

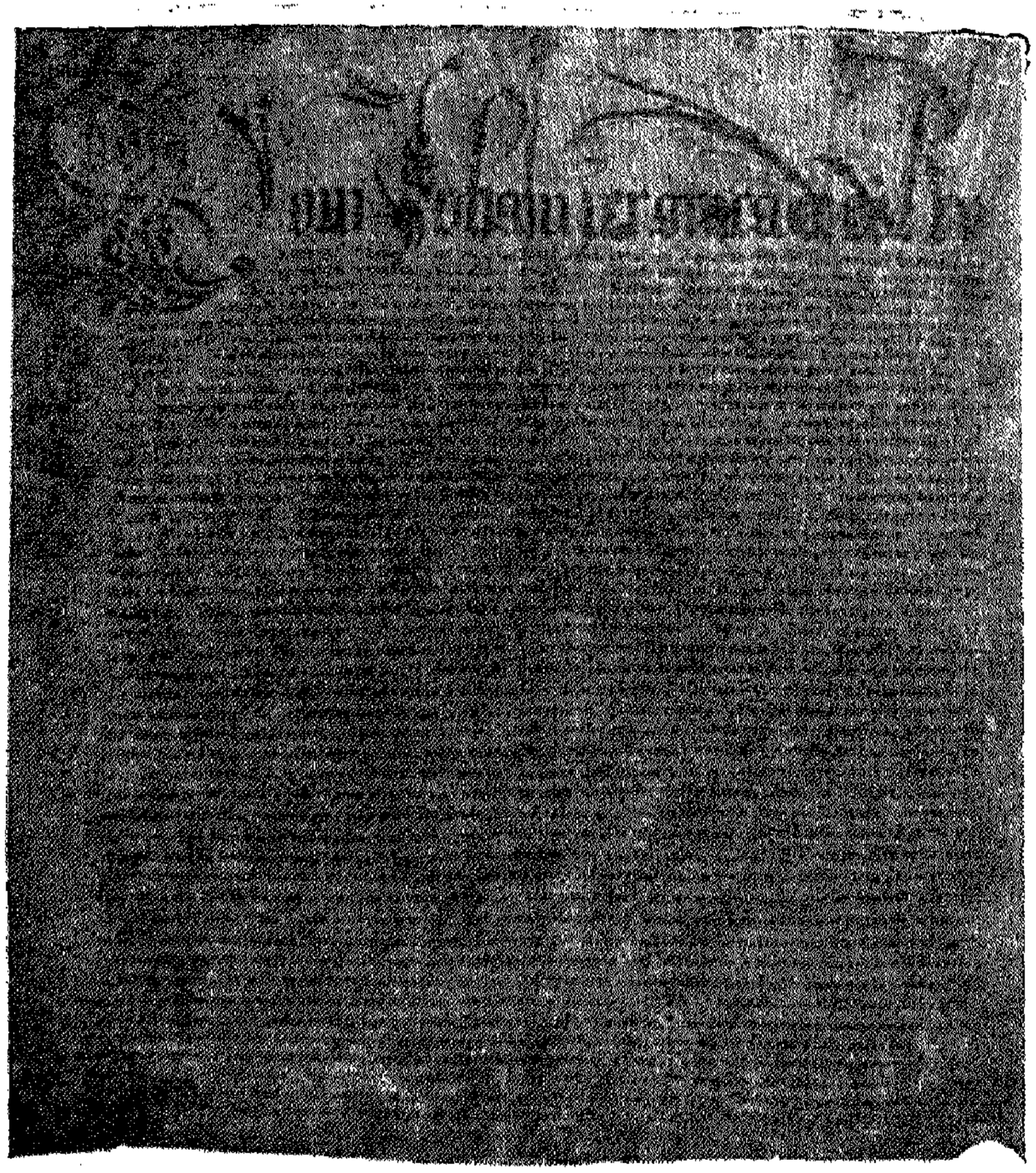

٢ ـ خطاب الملك جيان الثانى (JeanII) الى قائد أسفى وسكانها ـ الأصل العربى ،مرفق معه فى نفس الورقة الأصل البرتغالى
(مؤرخ : ١٦ اكتوبر ١٤٨٨) (الأصل في المحفوظات بلشبونة)

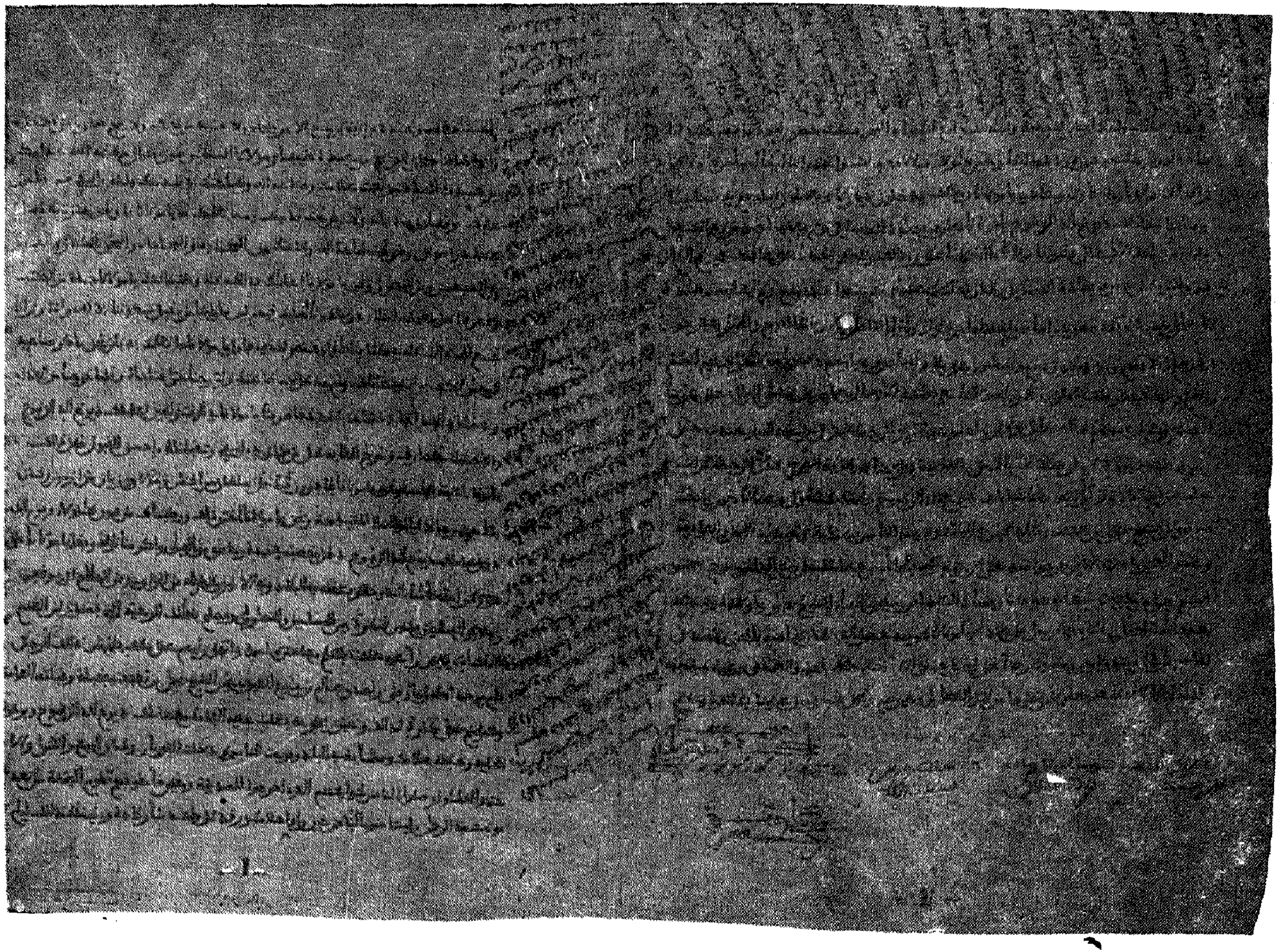

٣ ــ خطاب سكان آسفى الى الملك عمانوئيل الأول (Emanuel I) يشكون من تصرفات عامله
(مؤرخ : فى ٢ ولية ١٥٠٩) (الاصل بالمحفوظات ــ بلشبونه)

(تابع) خطاب سكان أسفى الى الملك عمانوئيل الاول

(الاصلّ بالمحفوظات ـ بلشبونه)

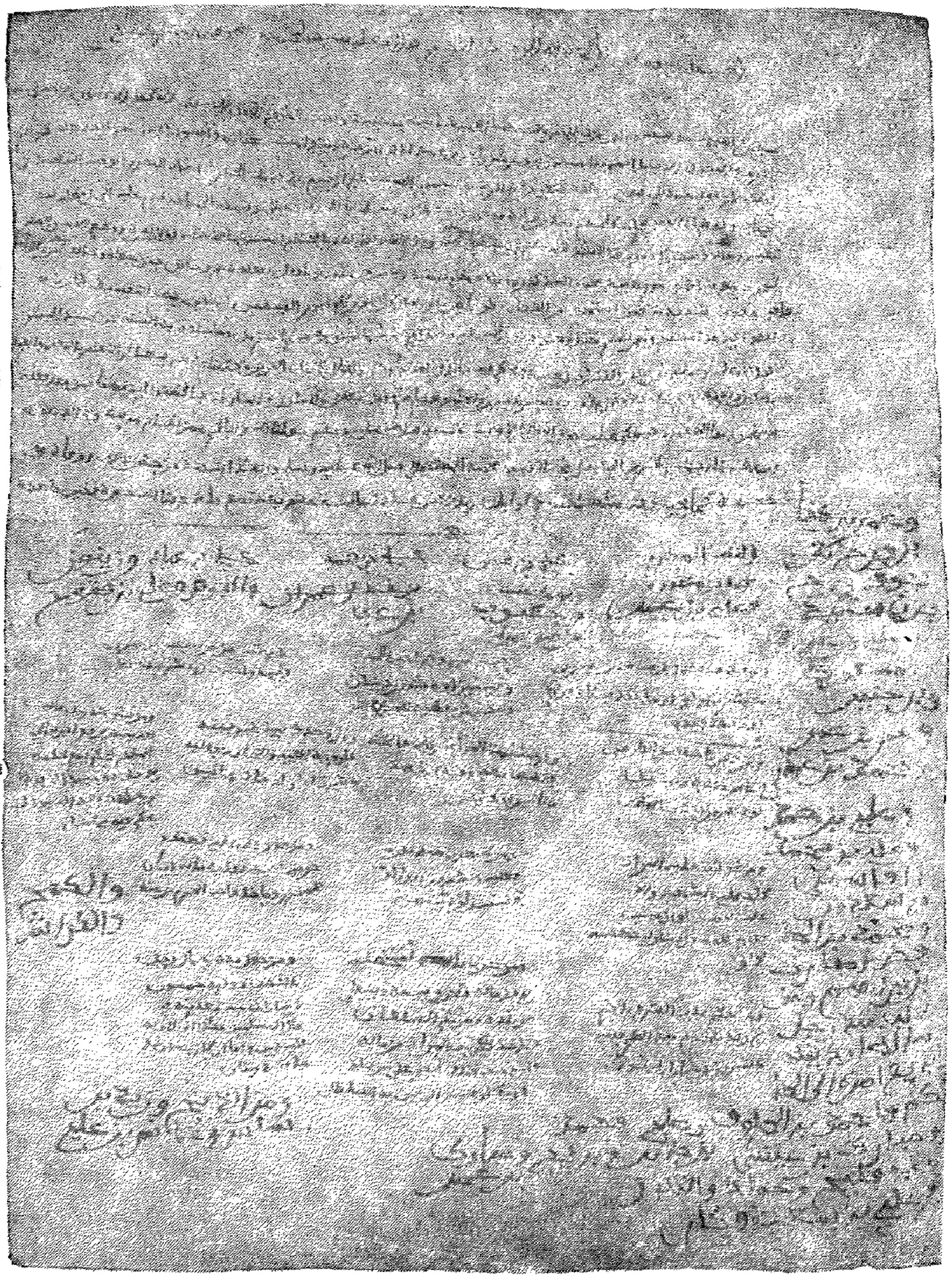

٤ ـ تنظيمات يحيى بن تعفقت الذى كان يعمل لحساب البرتغال فى مدينة آسفى
(مؤرخ : أول ربيع الثانى ٩١٨ هـ) (الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

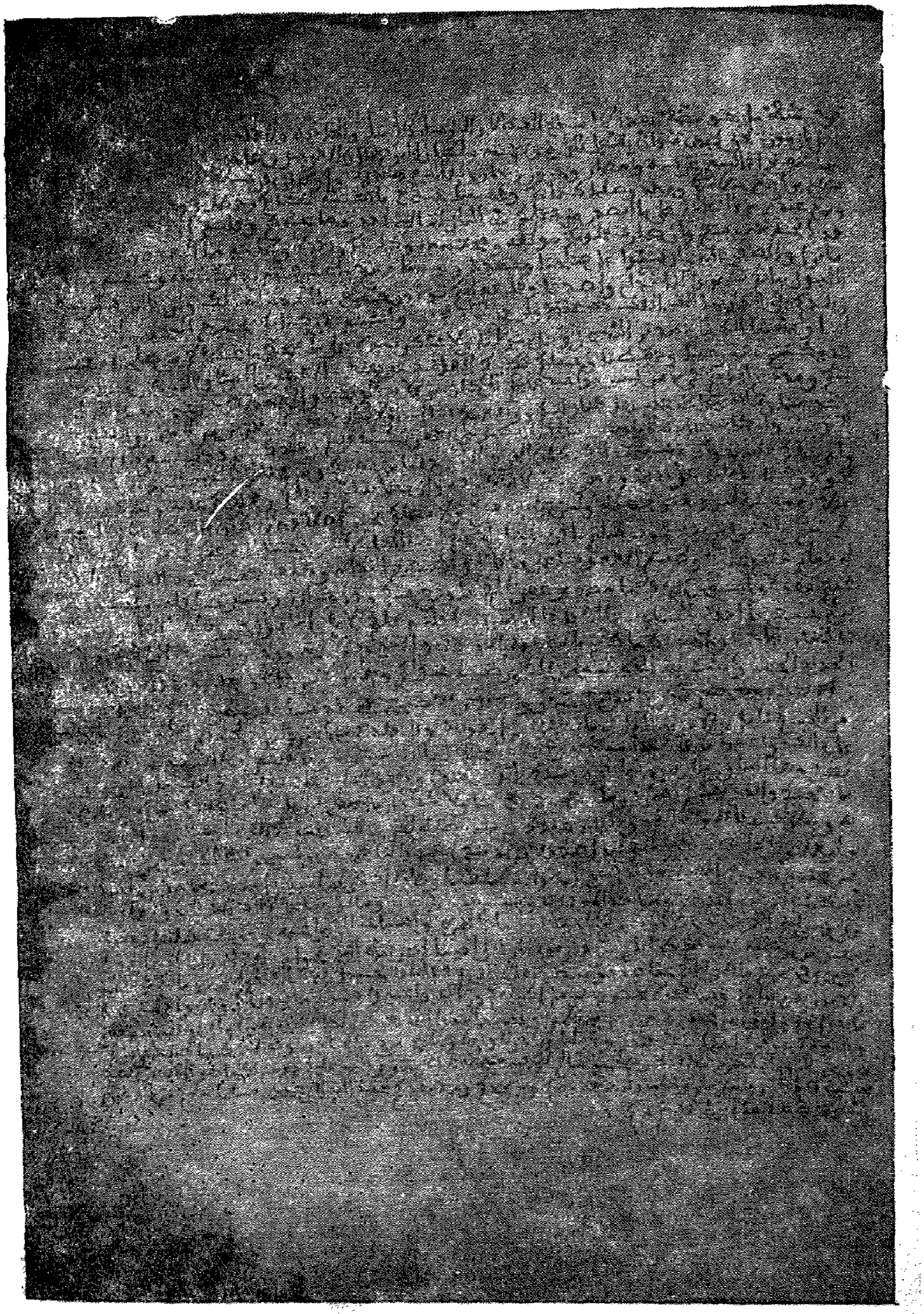

٥ ــ خطاب من الملك عمانوئيل الاول (Emanuel I) الى مواطنى ازمور
(مؤرخ ٢٢ ابريل ١٥٠٤) (الاصل بالمحفوظات ــ بلشبونه)

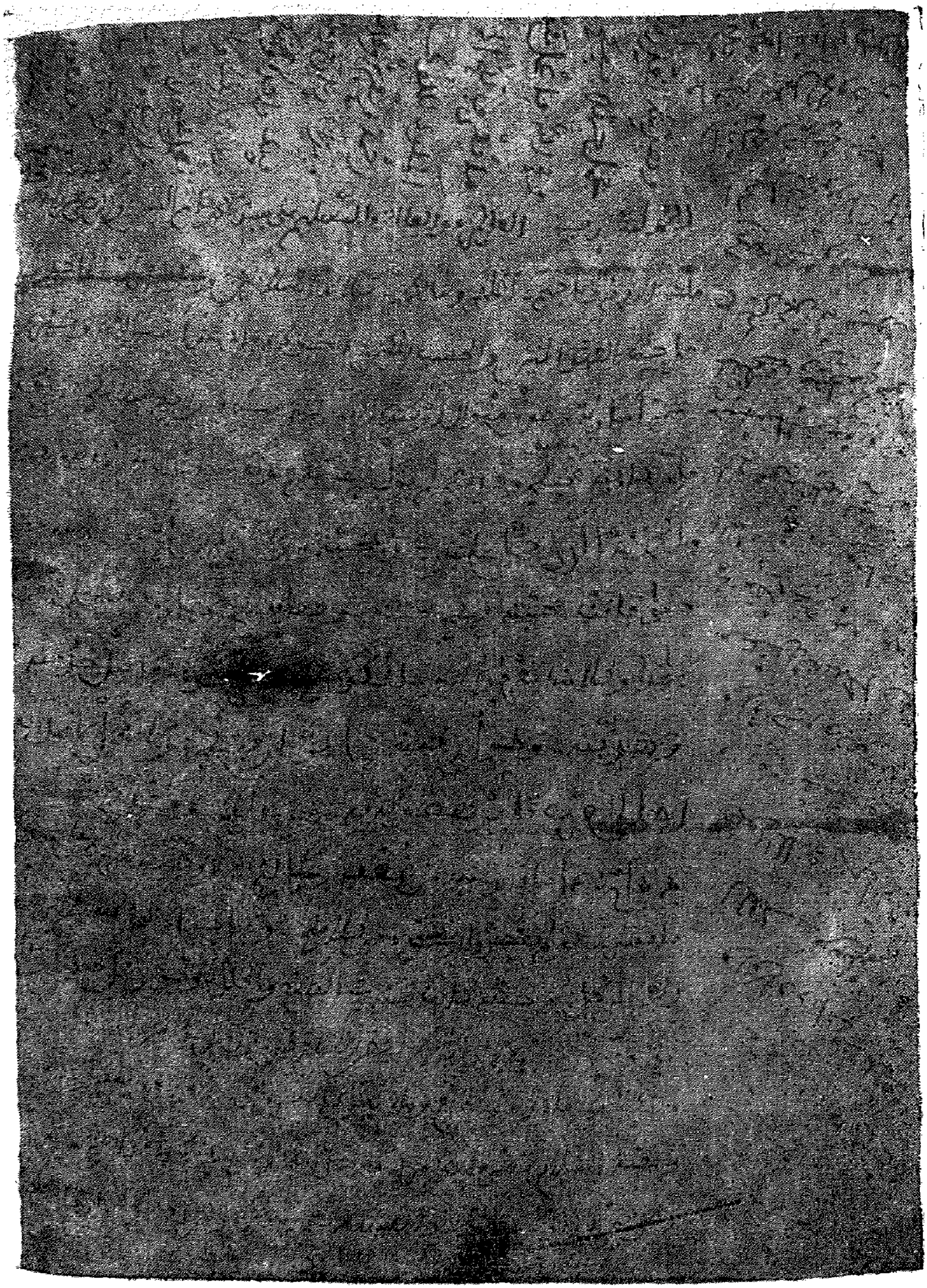

٦ ـ خطاب على بن سعيد من اشراف ازمور الى الملك عمانوئيل الأول
(مؤرخ : اول شعبان ٩١٦ هـ ـ نوفمبر ١٥١٠) (الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

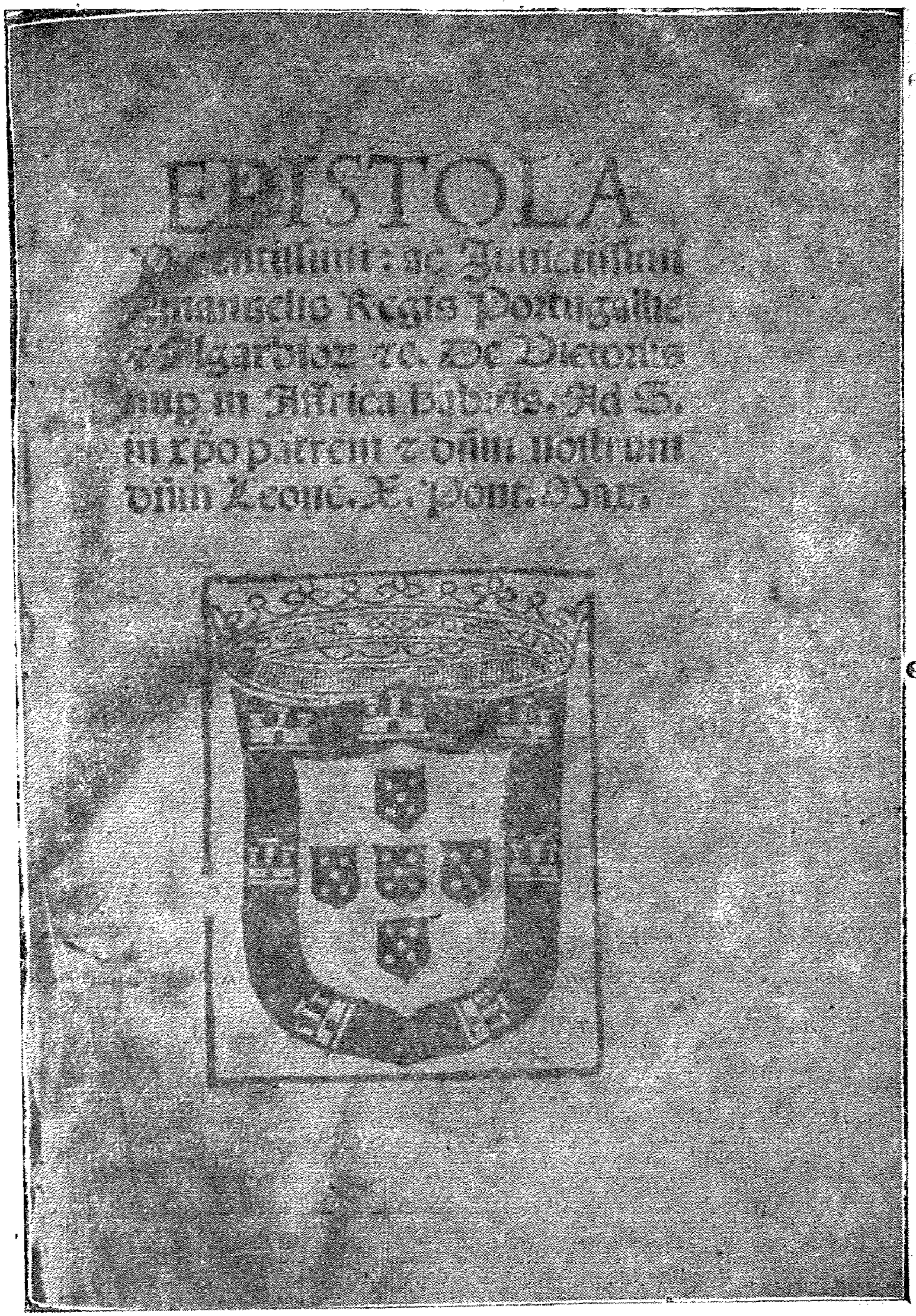

١ ـ عنوان خطاب الملك عمانوئيل الاول الى البابا ليون العاشر يبشره بالاستيلاء على ازمور ٣٠ سبتمبر ١٥١٣
(الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

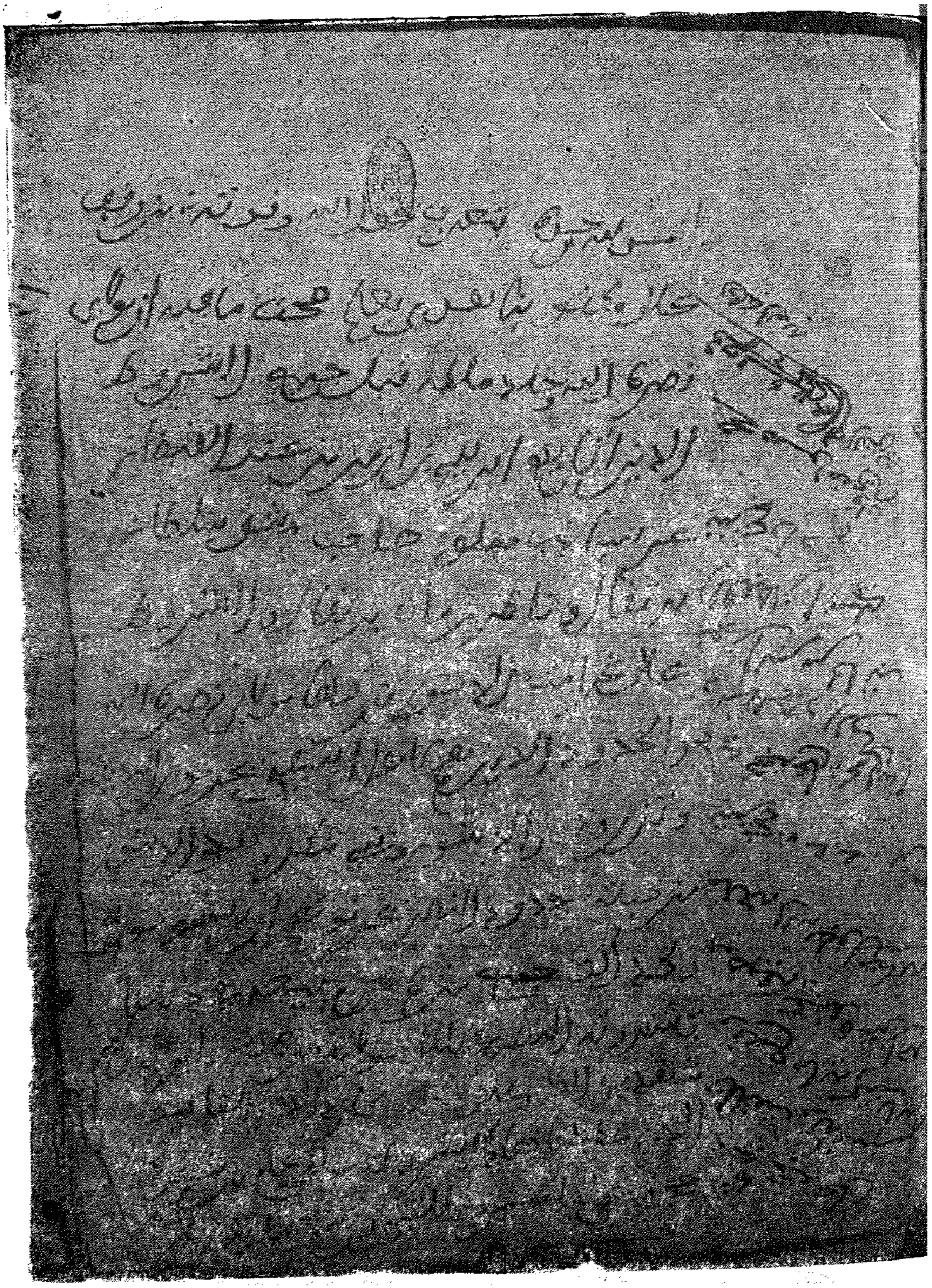

٨ ـ الهدنة المعقودة بين مولاى احمد الشريف السعدى وملك البرتغال جيان الثالث
(مؤرخه ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢ ـ ٢٩ سبتمبر ١٥٢٥) (الاصل بالمحفوظات ـ بلشبونه)

٩ ـ خطاب من مولاى احمد الشريف السعدى الى ملك البرتغال
(مؤرخ: ١٠ ديسمبر ١٥٢٥) (الأصل بالأرشيف بلشبونة)

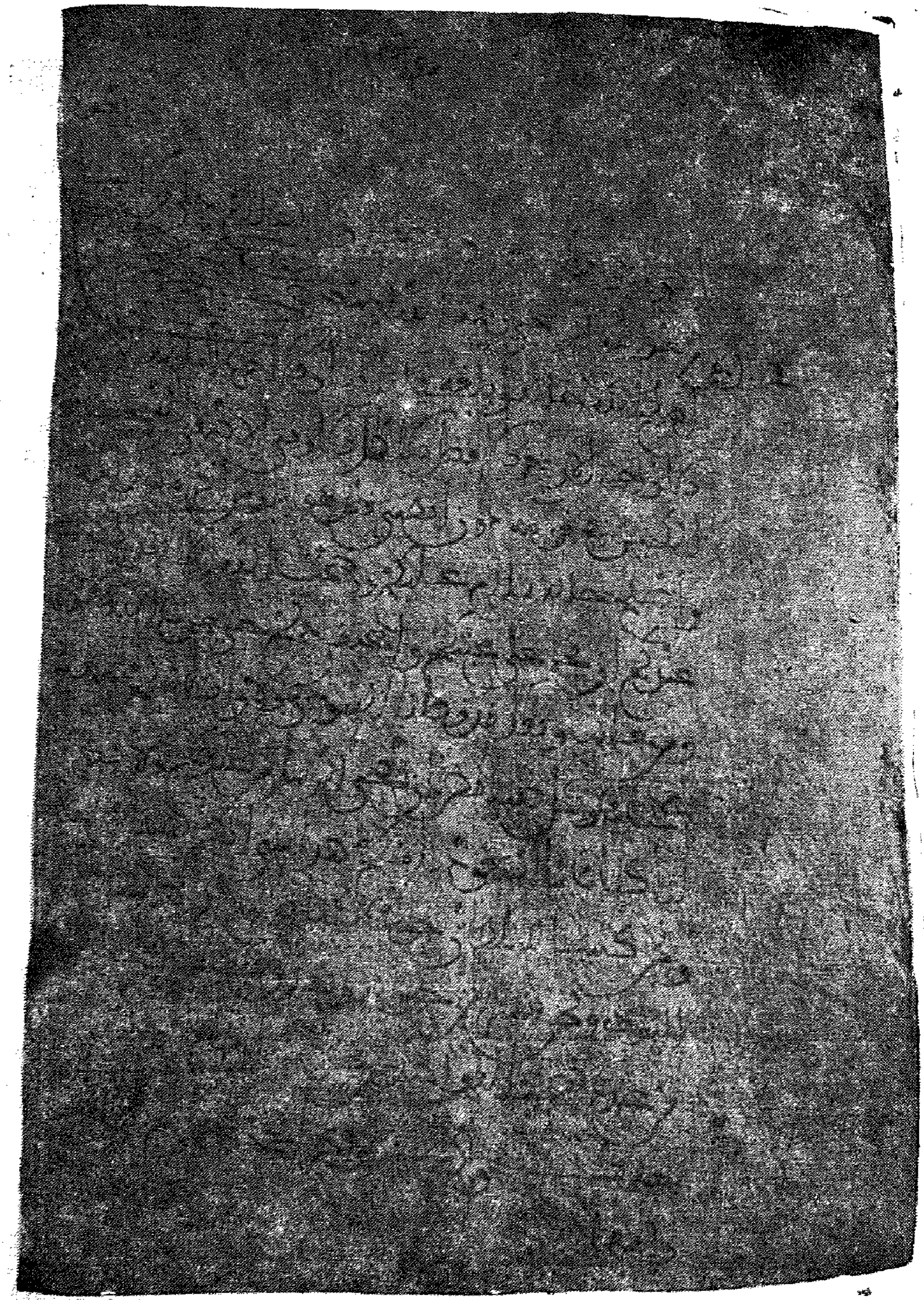

١٠ ـ خطاب من مسعود بن ناصر نعاس (أثناء حكم احمد بن محمد الشيخ الوطاسى)
الى حـاكم ازمور ـ بشأن اسير هرب الى ازمور

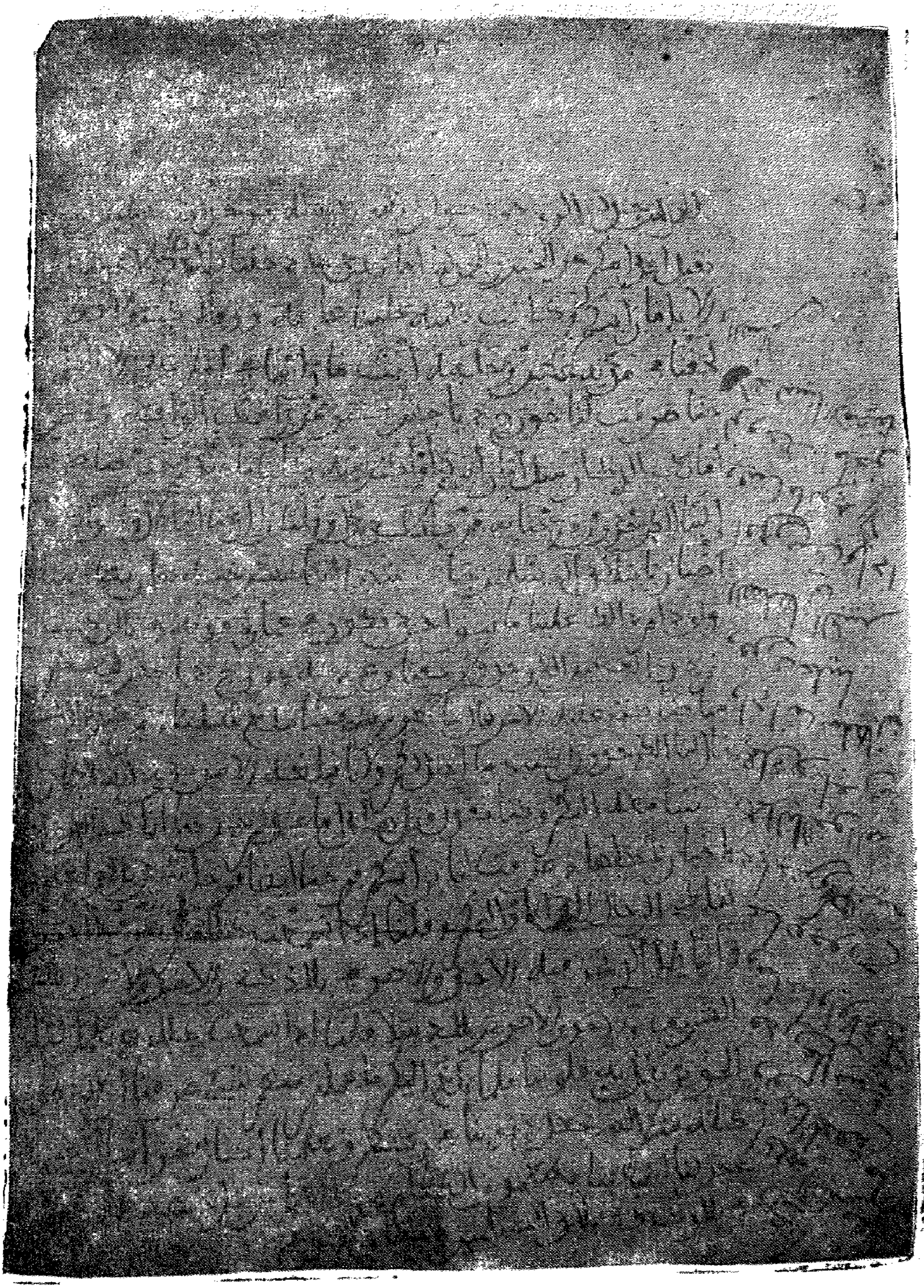

١ ــ خطاب سكان آزمور الى الملك جيان الثالث ملك البرتغال ــ يشكون من ظلم متذوبه ببلادهم
(مؤرخ : ازمور فى ٢٠ ابريل ١٥٢٩) (الاصل بالمحفوظات ــ بلشبونه)

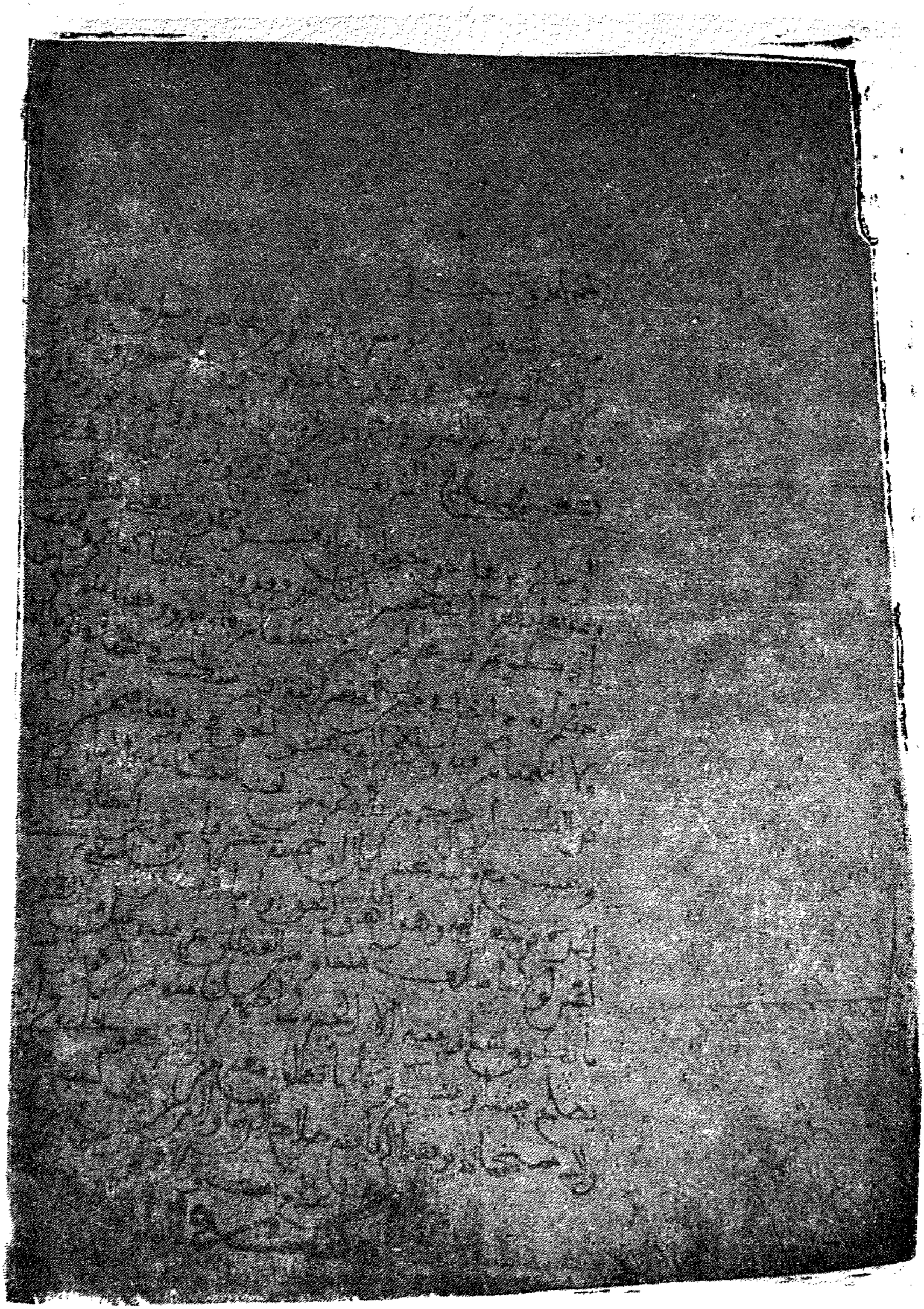

١٢ ــ خطاب الامير السعدى ابى العباس احمد (الاعرج) الى جيان الثالث ملك البرتغال
مؤرخ ٢٣ ربيع الاول ٩٣٦ هـ (الأصل بالأرشيف بلشبونة)

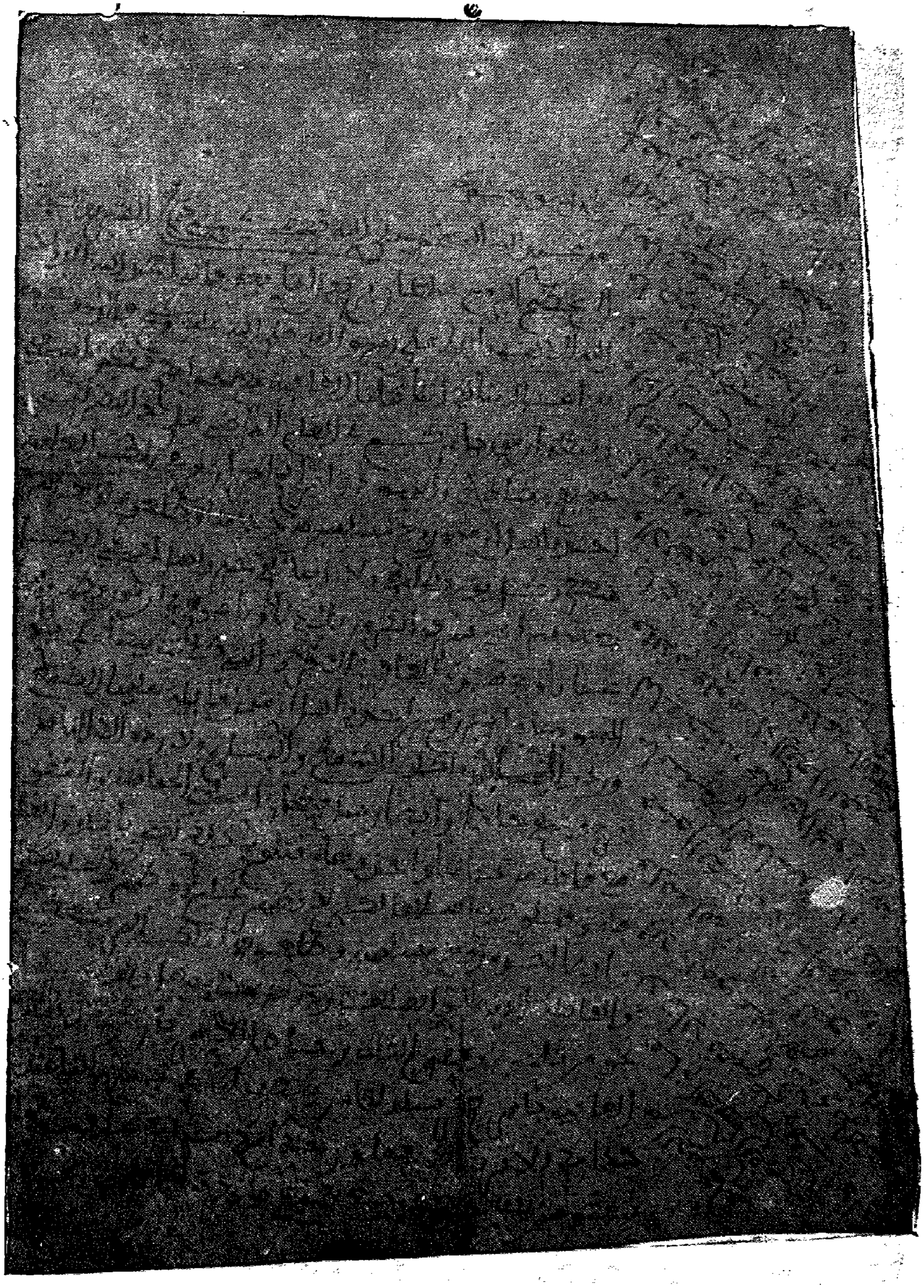

١٣ ـ خطاب من محمد بن الحسن زنبق قائد (سلا) فى عهد
الامير الوطاسى احمد بن محمد الشيخ ـ الى قبطان مدينة ازمور البرتغالى
(مؤرخ : ٦ ابريل ١٥٣٠) (الاصل فى الارشيف البرتغالى)

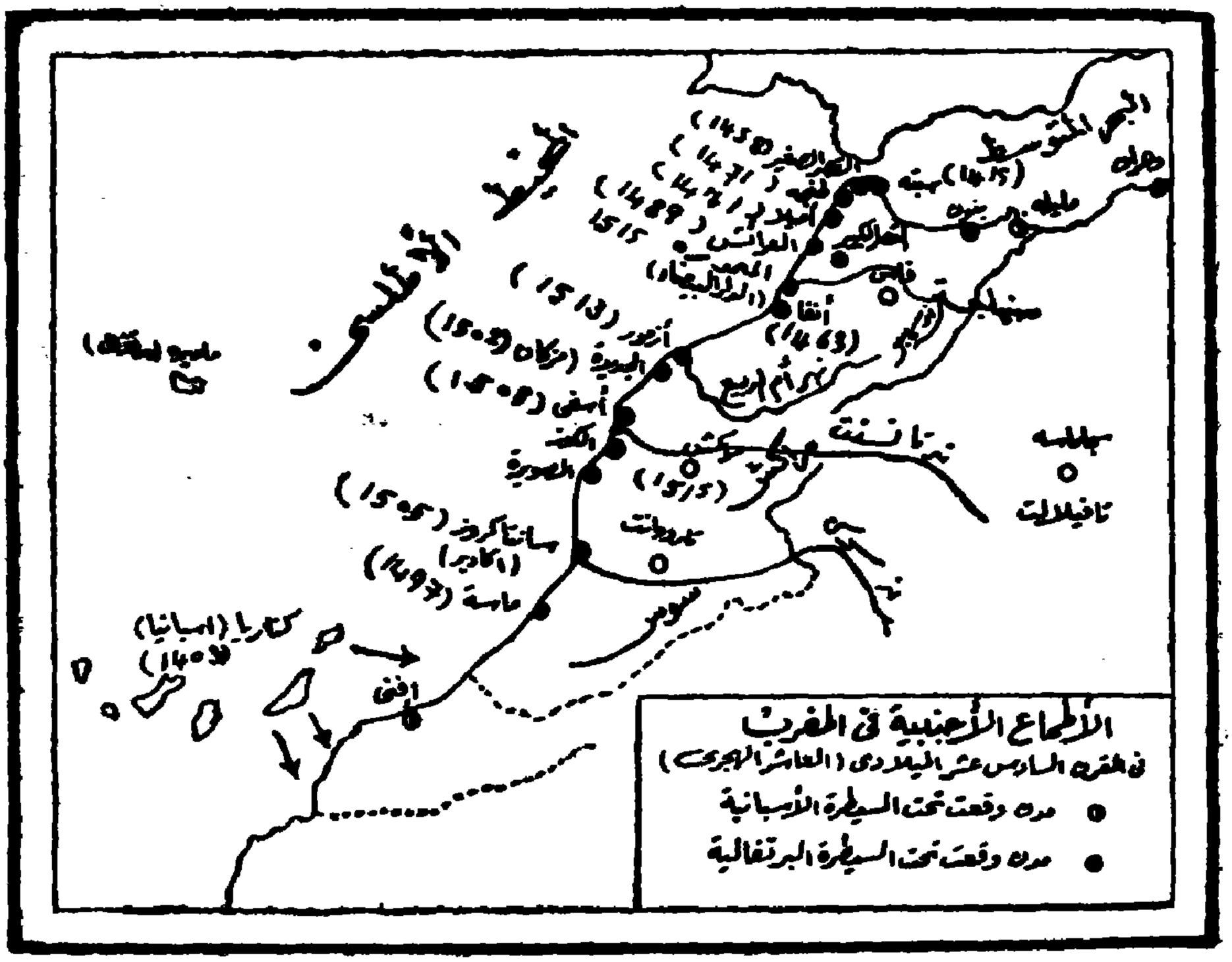
المحيط الأطلسي
البحر المتوسط
الأجمات الأجنبية في المغرب
في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)
مدن وقعت تحت السيطرة الأسبانية
مدن وقعت تحت السيطرة البرتغالية

شكل ١٤

شرح الوثائق السابقة والتعليق عليها

— ١ —

خطاب من جيان الثانى (Don Jean II) إلى قائد أسفى وسكانها — الأصل العربى بلغة ركيكة ، لغة مترجم الملك وفى نفس الورقه الأصل البرتغالى فى الناحية الأخرى من الورقه — على ورق برشمان سميك .

التاريخ : ١٦ أكتوبر سنة ١٤٨٨ .

دون جون بنعمة الله سلطان برتغال والمغربين المحيطين (١) بالبحرين وصاحب كناوة الدهبين (٢) كل من يقف على كتابنا هذا تعلموه أن بأمر أحمد بن (٣) على قايد مدينتنا أسفى جالعندنا يحيي الزيات شبرينه (٤) وابن عمه وحضر ودفع إلينا وحد الكتاب من القائد المذكور عمه ، معلم بعلامته مطبوع بطابعه وكان يطلب منا أن كى نعطوا تصديق وتحقيق ليحيي المذكور فى كل ما يقول ويطلب لنا عنه وأنه يعمل ويوفى بالتحقيق كل ما يعمل معنا ويثبته بلا شك ولا نقصان ولا واحد ، وبقوة تلك الكتاب يحيى المذكور قال لنا إن أحمد بن على عمه المذكور ، كان يقول إلينا أنه والمدينة المذكورة وسكانها مع أحوازها كانوا للسلطان مولانا وأبى المرحوم (٥) وكان عنده كتابه الذى أرسل إلينا نروه ، وإن من بعد موته كذلك كان يحسب نفسه وما زال يحسب إنه أديا لنا(٦) والمدينة المذكوره وناسها وجميع حوازها وبجميع ما فيها كذا مجموع كيخدمنا كمثل لطبيعة وحقيقة السلطان وصنيعه كما عمل دآيم حتى لداب ، لكن لكيما عد يعملوا الكل ويعرفوه عن متاعنا (٧) ، كان يطلب من نعمتنا أن كى ترسلوا له كتابنا كيف كنا ، ناخدوه ونقبلوه للأبد عنا وعن تابعينا عن قايدنا وصنعنا وكلهم الذين تاتون لقدام ، وكذلك المدينة المذكوره عن متاعنا بسكانها وجيرانها وأحوازها فى الحال والمستقبل لنستخدموا

---

(١) يلاحظ اللقب الذى كان يضفيه ملك البرتغال على نفسه .

(٢) من الذهب ، ولعل له علاقة بشهرة هذه المناطق فى الذهب .

(٣) يلاحظ أن قائد مدينة آسفى كان من المسلمين والحقيته إن المدينة لم تكن خلصت بعد للبرتغال.

(٤) Jahia Ajiod Sobrinho (فى النص البرتغالى).

(٥) توفى Alphonse V فى ٢٨ أغسطس ١٤٨١ .

(٦) تبعنا . (٧) يلاحظ ركاكة لغة الخطاب العربى المرفق مع النص البرتغالى

منه بالتحقيق ، ومنهم الكل كمثل متاعنا (١) الأصليين والنويين وأن كمثل متاعنا يرعا إليهم ، وتكون حوايجهم وهم فى كل موضع منظورة ومحروزة كمثل لمتاعنا الأصولين الأصفيا والخدام ، فنظرنا مطلبهم ورعينا الخدمة الذى للمذكور المولا السلطان أبى ولنا فى الزمان الجابر ، ماع معمول نحيوا نقبلوا ونرضاه خدمتوا حسب ما طلب منا ، وكذلك من سكان وجيران المدينة المذكورة وأحوازها وعندنا فيه خبر فأخذناه وقبضناه للأبد عنا وعن الذين ياتون بعدنا من داب لقدام ، عن قايدنا ، صنعينا وملتزمنا له وكل من يأتى بعده من القياد للمدينة المذكورة ولسكانها ولأحوازها الذين هم اليوم ويكونون لقدام ، أخذناهم وقبلناهم عن متاعنا كذا بالتحقيق كيف هم الأصولين من سلطتنا وملكنا ، وهو القايد المذكور يرقد عنا فى الحين علامنا الذى نحن نرسلوا له فى المدينة المذكوره فى الموضع المشهور منها (٢) كمثل لحقيقة وطبيعة وسلطانه مولاه كمتاعنا الطيب الجيد الأمين القايد والصنعى ودايماً يخدمنا ويتبعنا بذاته وبحوايجه كلها وبالمدينة المذكورة وناسها (٣) وسكانها وأحوازها فى كل زمان ومكان الذى منه ويكتبنا (٤) بكل وجه يؤمر به أو يطلب به وكذلك القياد الآخرين الذين ياتون بعده وزايد يحبس عنا عنده علام (٥) آخر متاعنا مع الطبل (٦) الذى نحن أيضاً نصرفوا له لكى يكن هو والآخرين الذين يأتون بعده معروفين إنهم متاعنا القياد ويحلف ، فالحين والوقت بالأزمة (٧) أن يكمل كل شئ بالتحقيق ويحفظه بالدين الطيب بلاشك ونقطة الخلاف ما يعمل ولا يوافق عليه (٨) وكذلك جميع الخاصة خاصة المدينة المذكورة يحلفوا اليمين المذكور عنهم والآخرين من العامة يحلفون عنهم أو باكلايهم (٩) وزايد ينصفونا فى كل سنة فى شهر شتنبر ثلاثمائة مثقال من الذهب العين (١٠) ذهباً عيناً أو قيمتها فى شمع (١١) أو فى سلعة غيرها مما يرضون عمالنا (١٢) الذين يكونون بتلك المدينة أن يقبضوا ذلك

---

(١) ملكنا (إتباعنا) . (٢) يضع العلم المرسل له فى مكان بارز .
(٣) هو والمدينة وسكانها يكونون تابعين لنا. (٤) يكتب لنا. (٥) يحفظ العلم المرسل له.
(٦) الطبل—وهو مستخدم عند الأفريقيين كما هو معروف لإعلان الحرب أو فى المناسبات الهامة الأخرى.
(٧) يلزم . (٨) بالذمة ، ولا يفعل خلاف مايؤمر به . (٩) بوكلائهم .
(١٠) ٨٠٠ مثقال من الذهب الخالص . (١١) هذه المناطق كان من صادراتها الذهب ، والشمع.
(١٢) عمالنا هم قواد الموانى .

عنا ، وإثنان من الخيل جياداً جداداً ، وكذلك أيضاً نحن منتظرين أن نحبسوا دايما فى المدينة المذكورة داراً لتجارتنا (١) ومتاعنا ولمتاع الأصولين متاعنا وللاشتغال بها ، وأخرى الذى نامروا أن تساق من هنالك نحتاجوا أن يكونوا فى تلك المدينه عمالنا وآخرين مراراً كثيره يمشون رجالنا ليجلسوا معها ويكونوا مؤمنين وتكون جايد (٢) محروزه ومحفوظة كيف ينبغى لخدمتنا إن المذكور أحمد بن على قايدنا فى مدينتنا المذكوره يبوب وينتظر (٣) فالساعة والوقت شئ داراً تكن جيدة ومنيعة وحريزة أو يعطى موضعاً لعمالنا أن يامروا بعملها أين يكون ، كل شئ محفوظ وعلى خاطرنا وإرادتنا ، ونحن على هذا الكتاب رضينا للقايد المذكور ولسكان المدينه المذكوره وحوزها الذى هم داب أو يكونوا لقدام أن ياتوا إن شاءوا (٤) ويرسلوا لسلطتنا فى أجنانتنا (٥) وفى متاع الأصولين متاعنا ليتابعوا ويتعاملوا ويسوقون كل ما يريدون من السلعة والذين يحبون ويحملون أخرا للمدينة المذكورة أو أين ما يحبون ، ومنها ما يغرمون إلا ما يغرمون أو صلين بلادنا ، وذاك بكلها التحريرات والظواهر والتحشيات الذى بالشرع (٦) وبستنا الذى بسلطتنا هم معطين للأصولين متاعنا ومرضيات ، وكمثل الأصولن متاعنا وأصفياؤنا نأمروا (٧) علها دايماً الإستحفاظ ونشهروا لمرتنا (٨) ولبطارقة البحر من سلطنتنا ولريساى الأجفان تاجرين أو محاربين وكذلك لكلهم أصفياؤنا إن مع كل من يتصادقون من سكان وجيران المدينة المذكورة وحوزها أو مع حوايجهم أن لا يعملوا لهم عيب ولا مضرة بل يعملوا لهم بحل لاشيا (٩) متاعنا حسب ما يعملوا للأصولين متاعنا ، والذى يعمل العكس تامروا عليه بالعقوبة الذى يستوجب بالشرع والحد ، وكذلك ترغبوا ونوكدوا لبطارقة وأصفيا ووصولين متاع السلاطين الفنشين(١٠) بنى عمنا ومن

---

(١) تحتفظ بمكان التبادل التجارى .
(٢) جيدة .
(٣) يبحث حالا .
(٤) شاءوا .
(٥) سفننا .
(٦) حسب الشريعة والسنة .
(٧) نأمر .
(٨) أمير آلات البحر .
(٩) الأشياء كخاصتنا .
(١٠) حكام الدويلات الأخرى بالأندلس .

جميع الطاعات الذى يكن بيننا وبينهم العافيه إن فى حقنا إذا تصادقوا مع المذكورين أن لا يعملوا لهم عيب وأن يرعوهم بخير ويتركوهم يمشوا خليص ويجوا كمثل متاعنا ومن هو تحت أمتنا وحفظنا وملكنا كمن معنا منه كلفة كبيره وفكرة (١) ، ولصحة هذا كله وهذه الأشياء أمرنا بكتابنا هذا للقايد المذكور وللمدينة المذكوره مرشوم برشمنا ومطبوع بطابعنا من الرصاص لحرزهم وإستحفاظهم — كتب ببلد شتوبر من شهر أكتوبر من عام ١٤٨٨ .

---

(١) ليس بيننا وبينه كلفة ، أى تابع ننا .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo Parte 1. maco 1 No.43.

خطاب من سكان اسنى إلى الملك عمانوئيل الأول (Emmanuel I) يشكون من تصرفات عامله وما أصاب المدينه من أعمال الفوضى والسرقة والإسترقاق وما أصاب المساجد وغيرها — حتى هجر السكان المدينه .

مؤرخ ٢ يوليه ١٥٠٩

الحمد لله وحده وإليه يرجع الأمر كله ولا بد من لقائه ولا ينج هارب من قضائه وإذا ضاقت كان الفرج من عنده .

ضيفنا ومولانا السلطان ضون منوال (١) حفظه الله — خدامك بل عبيدك الساكنين تحت علامك (٢) وطاعة الله وطاعتك فى بلدتك (٣) بلدة آسنى هم يسلمون عليك ويقبلون يديك والأرض تحت قدميك ، ومما نعلمك به يا مولانا بأن نحن جازت علينا شدايد وأهوال ونحن تحت طاعة الله وطاعتك من المخاوف والمجاعات والمحن الكثار والغبائن (٤) من المسلمين ومن النصارى ، ونحن يا مولانا أعلمناك بذلك كله وكتبنا لك يا مولانا جمله من الكتب ولا عرفنا هل بلغوك أملا (٥) ونحن شكونا عليك فيهم لين ما رأينا (٦) من يقبل شكوتنا إلا الله وأنت ، وترانا نجمع لك ذلك كله فى كتابنا هذا ونختصر لك فيه ، فأول يامولانا نعلمك به بأن نحن ما كرهنا عبد الرحمان إلا فى حق الذى عصاك (٧) ولم يدخل تحت طاعتك ولا رضا حتى قتلناه وقلنا خرجنا من العذاب ودخلنا فى الجنه إنما دخلنا تحت طاعتك فاصرفنا يامولانا فى الوقت والحين لعاملك دوغ الدالزنبوح(٨) وأدخلناه فى دارك(٩) وخرج للغايه كل من من كان فى آسنى وتقبلناه بأحسن القبول كل ذلك يامولانا محبة فيك ونحن يامولانا قادرون ندخل سلطان مراكش ومولاى زيان من أزمور ، وكان بأسنى رجال كانوا أهلا للشياخه ونحن يامولانا أخبرناك ورضيناك من دون هؤلاء ، يوم دخل عاملك ديوغ الدالزنبوج دخل بقصبة فى يده وغصن من الحسبق وأكرمنا نزله وبقايا مولانا على عز وكرامه ماشاء الله ، ونظر بعقله فى البلاد وفى

---

(١) (Emmanuel I) Don Manoel (٢) علمك . (٣) يشيرون بأنها بلده !
(٤) غبن وظلم . (٥) أم لا ؟
(٦) لم نجد من يسمع لشكوانا إلا الله . (٧) خرج عن طاعتك .
(٨) Diogo de Azambuja (٩) القلعة البرتغالية فى آسنى .

الأمور وظهر له من الرأى ومن الصلاح أن يوقف رجلا من المسلمين يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى ويصلح بذلك الرعية التى فسدت لين(١) الغنم إذا كانت بغير راعى هلكت فتكلم مع أهلن (٢) آسفى واتفق رأيهم على ذلك ، ففتش ذلك الرجل فلم يوجد أحسن وأوفى وأصدق سالم من جميع العيوب غير الشيخ يحيى بن تعففت(٣) فقبله وقبلته العامة ، والشيخ يحيى كاره لذلك وغير راض به فقلبت عليه العامه مع عاملك ديوغ الدالزنبوج (٤) ويرجوا عليه وعطاه علامك ومشا به (٥) فى البلد وفرحت الناس ودخلت العربان(٦) وكان البيع والشراء والأخذ والعطا وأرسلوا الناس بحوايجهم الذى — أخرجوا للمدينة وغيرها خوفهم تقوم الفتنه (٥) من بعد موت عبد الرحمان واستامنت الناس حين رأوا علامك ورقد كل واحد منا رقاده وبقينا كذلك أيام . فحبس عاملك ذيوغ الدالزنبوج للشيخ يحيى فى فتح الباب(٨) فقال له الشيخ يحيى ذلك مايعلى(٩) على مولانا السلطان فى هذا الوقت حتى تعمر البلاد وتستامن الناس حداً . فقال له عاملك لا بد من فتحه . فقال له الشيخ يحيى نكتب لمولانا السلطان بذلك فإذا أمر بفتحه فى هذا الوقت فتحناه فاتفقوا على ذلك وأصرفوا(١٠) لك يا مولانا مرسلا عبد الله اللحيانى مع يحيى وازنزغ . فلما طلعوا لم يتربص(١١) عاملك ديوغ الدالترنبوج حتى ياتى أمرك . فتكلم مع على بن وشمان(١٢) وقبيلة السراق بنى ماجر ، وأدخلهم علينا فأكلونا وأكلوا البلد(١٣) وأفسدوه وقتلونا وشتتوا بنيننا وبناتنا ، حتى ما بقى فيه يامولانا لا صغير ولا كبير ولا يتيم . ولا مسكين ولا شيخ ولا عجوزه ولاهجاله ، إلا التاكلت فيه والتاكلت فيه يامولانا أموالا ما يعلم (١٤) عددها إلاالله وكذلك الحوايج والدخاير ، وعاملك

---

(١) لأن .
(٢) أهل .
(٣) أشار ليو الأفريقى إلى قصة هذا الرجل الذى لعب دوراً هاماً خساب أنبرتغال .
(٤) Diogo de Azambuja
(٥) مشى .
(٦) الرجال .
(٧) كانوا يخشون قيام فتنة .
(٨) طلب فتح أبواب المدينة .
(٩) لا يصلح .
(١٠) أرسلوا .
(١١) لم ينتظر .
(١٢) صحتها على بن عثمان
(١٣) تعدوا علينا .
(١٤) أى سلبت أموال لا تقدر .

يا مولانا قادر على منعه (١) بعشرة رجال مع أهلن آسنى ، ففتح الباب عاملك ديوغ الدالزنبوج فى تلك الساعه وبقوا بنى ماجرياكلوافى آسنى ثلاثة أيام من بعد فتح الباب وعاملك ديوغ الدالزنبوج ينظر فيهم ولم يقول لهم ماذا يفعلون والقيساريه (٢) يا مولانا بازاء داره وهو قادر على منعها من غير خروج من داره والتاكلت فيها أموالا كثار وأبا يمنعها (٣) فهذا يامولانا أول الغدرات الذى أعنرنا عاملك ديوغ الدالزنبوج تحت علامك ، ومن بعد ذلك يامولانا كانوا زوج (٤) من رجالك ساكنان فى خربه من الخراب فى الخلافى (٥) فاحية آسنى قبالة الفساد(٦) والزنا بالمسلمات فدخلوا عليهم بعض رجال من مدينة دكاله(٧) فى الليل وقتلوهما فأصبحوا موتاً فلما رأى عاملك ديوغ الدالزنبوج ذلك لم يتربص(٨) حتى يعرف من فعل ذلك الفعلة فأطلق رجالك على البلد وقتلوا منه ستة أو سبعة رجال والمجرمين الكثير منهم وأكلوا كثير من الديار وأخلعوا (٩) النساء والأولاد حتى سقطت الفساد بالبنين والبنات، فلما كان يامولانا عشية النهار أتاه الخبر بأن أهل المدينة فعلوا ذلك الفعلة فلم يعقب(١٠) يامولانا أحد من رجاله على ما فعلوا فهذا يامولانا غدرة أخرى والثالثة من الغدرات يامولانا خرجت وحد(١١) القافله من آسنى فيها المسلمين مع اليهود حملوها بعض الفرسان من قبيلة الغربى فأغدروها(١٢) وكلوها فرجع عاملك ديوغ الدالزبنوج يا مولانا على الذين دخلوا البلد وساقوا له المنفعه ودخلوا فى الأمن والعافيه فـــربط كل من أصـــاب (١٣) منهم وعاد كل من يدخل منهم ويسوق المنفعة للبـــلاد يربطه ويبيعه (١٤) ، وهو ستة منهم يامولانا باعهم لقايدك الذى أتا (١٥) من جـــزيرة الخشب يامولانا براءة من كاتبك فرشطـــا بن داليد (١٦) وأبا له كاتبك بذلك وقال له انا ما نعطيك براءة إنك إشـــتريتهم

---

(١) منع هذه الفوضى والتعدى. (٢) مبنى مربع للتجار (دائرة المعارف الإسلامية).
(٣) أبى ورفض . (٤) كان إثنان . (٥) خارج المدينة .
(٦) تدار للفساد . (٧) قبيلة بربرية وقد تعربت .
(٨) رأى — لم يتريث . (٩) أثاروا فزعهم .
(١٠) لم يعاقب . (١١) قافلة واحدة. (١٢) غدروا بمن فيها.
(١٣) من وقع تحت يديه من أهل البلد. (١٤) يتاجر فيهم كالعبيد. (١٥) أتى.
(١٦) براءة بأنهم ليسوا أحرار من (Christovao de Almeida)

حتى يعطينى القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة بيده إنه أمرنى بالقهر منى (١) فعطا له (٢) القبطان ديوغ الدالزبنوج براءة إنه أمره بالقهر منه وترا يامولانا البراءة بيد كاتبك فرشطاين دالميد وأسئله (٣) يامولانا وهو يعطيك صحة الخبر ، وزايد من هذا يامولانا عاملك ديوغ الدالزبنوج قال لفرسانك ورجالك أن من أصاب منهم ما يشترى من المسلمين فى الخفا (٤) يشتريه وبهذا الأمر يامولانا عادت رجالك تشترى فى المسلمين ويأخذونهم غصباً وقهراً وعادت السراق من المسلمين ومن اليهود يسرقون أولاد العربان والمصامد (٥) كان باسنى يامولانا كثير من ضعفاء العرب الذين ما كان عندهم بهايم(٦)للرحيل ولا كان لهم جهد عليه فسرقت أولادهم وأخذت غصباً وكذلك أولاد المصامد وكذلك المسوقين من العربان فى الأمن والعافيه والآتيين بالمنفعه (٧) للبلاد من دخل منهم لآسنى ما يرجع لأهله وعاد كل واحد يسرق ويبيع حين أصاب من يشترى منه (٨) حتى إتعذر الكثير منهم الذى ما عرفنا له عدد من أهلين بر وأهلين البلد وطلعوا لبلادك والكثير منهم طلع لجزيرة الخشب وكثير من رجالك يامولانا إنحبسوا (٩) بايدهم ولا رأنا من عاقب عاملك ديوغ الدالزنبوج على ذلك لا من المسلمين ولا من النصارى ولا من اليهود غير وحد العرب كان مسلم ورجع نصرانى(١٠) إنصابوا بعض الأولاد بيده أمر بصلبه وغير ذلك مارأينا ، فلما رأت يامولانا العربان والمصامد هاذه الأفعال فرت وهربت خوفاً على روسهم ودراريهم(١١) ونعلمك يامولانا بان أول من إشتغل بهدم الديار باسنى عاملك ديوغ الدالزنبوج وينقل الخشب على العجلات ويحرقها ، فلما رأت المسلمين ذلك يامولانا أيسوا(١٢) من آسنى وأيقنوا بالخروج منه ، وكذلك الذين خرجوا أيسوا الرجوع إليه وإشتغل كل واحد من المسلمين بهدم داره وحرق خشبها ، وإشتغلوا النصارى بهدم جوامعنا وسرق حصارهم(١٣) ودقاقهم فهدموا لنا جامع بالقبور ولم يبق فيه حيط واقف ، وكذلك زاوية لنا بازايه يقال لها زاوية سيدى نوعلى ،

---

(١) بدون إرادته . (٢) تأعطى له . (٣) إسأله .
(٤) فى الخفاء . (٥) قبيلة المصامدة . (٦) لا يقوون على الفرار.
(٧) من يأتون للبلاد بالنفع عن طريق الحضور ببضائعهم للإتجار بها .
(٨) طالمـــا وجد المشترى. (٩) وضعوهم فى الحبس . (١٠) إرتد.
(١١) ذريتهم – أى أولادهم. (١٢) يئسوا . (١٣) حصر

جامعنا الكبير الأعظم سرقوا حصوره وهدموا فيه ويبولون فيه ويغيطون (١) ، وصومعة جامعنا الأعظم الذى هو مشهر (٢) دينا ترا رجالك فيها أيضاً يبولون ويغيطون ، وجامع آخر لنا بباب الشعب أخذه عاملك ديوغ الدالزنبوج مع زوج أبيار من الماء هنالك للعامة ، قطع عليهم(٣) بحائط وأدخلهم فى جنان هنالك وأخذ الجنان لنفسه وكذلك جامع لنا بباب البحر مشت (٤) حصوره ودقاقه ، وجامع لنا بناحية أورير (٥) مشت حصوره ودقاقه أيضاً وغيرها ولاء مما لا نصف لك ، وأخذوا لنا أيضاً أحباس (٦) هاذه الجوامع من الجنانت(٧) والديار والحناوت (الحوانيت) ويا مولانا رجالك يدخلون ديارنا ويعملون أيديهم فى نسائنا وبناتنا ، وعاملك ديوغ الدالزنبوج يا مولانا عارف بهاذه المسايل ، ولم يعقب أحد من رجالك على فعلة من هذه الأفعال ، ونحن يامولانا أخذنا على رجالك ولاكن (٨) أخذنا على عاملك ديوغ الدالزنبوج الذى كان عارف بهذه المسايل وكان له الحكم عليهم ولم ينه أحد منهم ولم يعقبه ، وهاذه الأفعال يامولانا الذى هربت الناس وأخلت آسفى ، ولو رأو االناس يامولانا الفرح والخير ما يخرجون ديارهم وبلادهم وبلاد جدودهم ويمشون على بلاد الناس وديارهم ولاكن يامولانا خرجهم الهم والغم والكشفه(٩) وقلة الأمان ، ونحن يامولانا مع هاذه الأهوال صابرين على البلاد حين عرفنا أنك غير عارف بهاذه المسايل وكاره لها ، وننتظرون الرحمة تنزل من عند الله وعندك ، حتى ورد علينا كتابك الذى أرسلت لنا بالأمن والعافية ففرحنا به غاية الفرح ، كأن الرحمة نزلت علينا من السماء ، ولو لم يوف عاملك ديوغ الدالزنبوج ، فكتابك الأول وعطانا خبر بانك تحب ترسل الشيخ يحيى بن تعنمت وشاع الخبر فى البلاد وفرحت

---

(١) يتبرزون .

(١) تقام فيه شعائر الدين — ترى .

(٣) فصلهم أى حجزهم .

(٤) سرقت .

(٥) Aourir .

(٦) ما حبس للصرف عليها .

(٧) الجنائن (الحدائق) .

(٨) ولكن .

(٩) العار .

الناس بكتابك وتجديد (١) الأمن والعافية ، وعملوا أهلن آسنى الذين خرجوا منه على الرجوع إليه ، فلما سميع (٢) عاملك ديوغ الدالزنبوج بمجى الشيخ يحيي بن تعففت سعا (٣) فى هلاكنا وفساد البلاد وأمر بنى نساء الشيخ يحيي وأولاده وكذلك عبدالله اللحيانى الذى جاء مرسل (٤) من عندك يامولانا كرهه فى حق الذى كان يخاطبه بالحق والصدق ، ونفاهم من غير سبب ولا جريمة وكرهنا نحن أيضاً فى حق الذى نكتب لك بالحق والصدق ، وعاد ينسب إلينا أفعالا لم نفعلوها ولا نرضوها من قتل النصارى وغيرهم ونحن نحب يبين علينا بذلك ، وكم أصاب منهم موتى (٥) غير واحد مشا (٦) يسكر ويشرب الشراب ويزنى بالمسلمات أغدروه (٧) أصحابه وقتلوه الذين كان يسكر معهم وما عرفناهم ، وغير ذالك نحب يبينه علينا ، ثم بعد ذالك أدخل علينا الغدار على بن (٨) وشمان مع قبيلة السراق بنى ماجر (٩) الذين أكلوا البلد وأفسدوه وقتلونا وشمتوا بنا وبنسائنا وبناتنا أدخلهم علينا بالقهر منا على بن وشمان أغدر ضيفه(١٠) عبد الرحمن الذى كان ياكل خبزه ، وأغدر صاحبه بن تعففت ، وأغدر أهلن اسنى وأغدرك أنت يامولانا الذى نصبت النفاق لدارك ورجالك ، وسعا فى(١١) هلاكهم ، ومن بعد ما خرج من اسنى مشا يلايم(١٢) الجيوش ومشا لسلطان(١٣) مراكش ومولاى زيان بازمور وأنفق ماله على جميع الجيوش والحركة لآسنى ولا أصاب غرضه فى المسلمين ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج عارف بهاذه المسايل ، مع ذالك كله أدخله علينا بالقهر منا وبرح عليه(١٤) أنه شيخ أسنى فلما رأت الناس ذالك دهشت وعملت على الخروج وهربت العربان من عبد(١٥) وغيرهم من الذين كانوا يسوقون النفعة للبلاد ، وعدم(١٦) كل شئ والقط مع الفار يامولانا لا يسكن فى غار واحد ، نحن ما نسكن مع من أكلنا وقتلنا وشمت بنسائنا ودرارينا(١٧) وترا يا مولانا حوايجنا الذى أكلوا لنا تراهم يلبسوها(١٨) ونحن

---

(١) تجدد .
(٢) سمع .
(٣) سعى .
(٤) رسولا .
(٥) كم قتل منهم .
(٦) مشى .
(٧) غدر به .
(٨) Ali Ben Ouachman — عينه حاكماً فى آسفى
(٩) Beni Mager
(١٠) غدر به .
(١١) وسعى .
(١٢) يلائم أى يمد الجيوش.
(١٣) إتفق مع سلطان مراكش،ومولاى زيان بأزمورضد البرتغاليين.
(١٤) زادعليه .
(١٥) عبد (Abda) قبائل فى إسفى.
(١٦) ضاع وهلك .
(١٧) درارينا أى أولادنا
(١٨) يلبسون الملابس المسروقة .

تنظر فيها ، وأنت يامولانا أختر فى عشرة ألف مهاز أو مهاز واحد قبيلة عبد مع قبيلة رجراجة وقبيلة زناته وقبيلة دكاله الكل عظم واحد (١) هؤلاء وقبيلة واحدة ولف واحد وحال واحد عددهم واحد وصديقهم واحد ، وبنى ماجر عدو لهاؤلاء، أختر فيهم وفى بنى ماجر ، وعاملك يامولانا ديوغ الدالزنبوج لا يكذب عليك ويقول لك إنه أخذ أسنى بذراعه نحن يامولانا الذى أعطناك أسنى (٢) ونحن أدخلنا عاملك ديوغ الدالزنبوج كما وصفنا لك ، ونحن يوم الذى نصب على بن وشمان النفاق لدارك ورجالك ما قاتل واحد منا ولا فاتن ولا حبينا إلا يهلكوا بنى ماجر عن آخرهم(٣) ونحن يامولانا أتانا قائدك(٤) وفرحنا به كثير وهو بنا،وهو رجل لين صغير الرأس (٥) عارف بطبايع المسلمين واسع الخلوق (٦) ومثل هاذا يامولانا يصلح لهاذه البلاد والمسلمون فارحين به كثير ونحن يامولانا شكونا عليه (٧) بالذى جرا علينا وبجوامعنا وصومعتنا الذى فيها النصارى وقال لنا يامولانا إنه ما ساق أمر لذالك (٨) وان نكتبوا لك نحن ونشتكوعليك ، وكل ما أمرته به يعمله ، نحن كتبنا لك يامولانا هاذا الكتاب وأعلمناك بجميع ما جرا علينا فيه وأنت يامولانا إذا تحب أسنى للعافيه والفايده والمنفعه أمر بنزول رجالك من صومعتنا (٩) الذى هى عصمه ديننا لين حد ما كانوا فيها رجالك ما يدخل وحد المسلم يسكن فى اسنى من الذين خرجوا منه ولا من غيرهم كل من هو مسلم يهرب من ذالك ويجفل(١٠) وأما نحن يامولانا ما نحن عند المسلمين إلا نصارى ، والثانية يامولانا تأمر أن لا يطلع مسلم من أسنى لا حر ولا عبد والذين فيه أسارى ينطلقون(١١) وترسل رجلا يكون قنطرة(١٢) بين المسلمين والنصارى وياخذ العافيه مع العربان وتحرث العربان على البلاد وتخزن فيه ويرجعون أهلن أسنى وتعمر البلاد ويكون البيع والشراء وتستفيد منها وتدخل

---

(١) الكل متفقون ضد قبيلة (بنى ماجر) .

(٢) الفضل فى خضوع المدينة لكم يرجع لأصحابها !

(٣) لو وقفنا ضدها لهلكت القبيلة كلها فهى ضعيفة .

(٤) القائد المذكور هو Pedro de Azevede الذى خلف Diogo de Azambujo فى حكم سافى فى مايو ١٥٠٩ .

(٥) هذا مدح معناه لين العريكه متواضع .

(٦) واسع الصدر .

(٧) له .

(٨) لم يصدر أمرا بذلك .

(٩) صومعتنا

(١٠) يهرب .

(١١) يطلق سراحهم .

(١٢) واسطة بينهما التفاهم .

عليك المنفعة منها ، وإذا ما عملت (١) هاذا يامولانا ولو نفع على اسنى مال الدنيا ما تصلحه ولا تحرث العرب عليه ولا تخزن فيه ، وإذا ما كان عليه الحرث والخزين ما يسكن واحد من المسلمين فيه لين (٢) ما هى عمارة اسنى غير العرب والحرث والخزين ، وعماره اسنى من العربان قبيلة عبد من دون غيرهم ، وإذا تحب أسنى يامولانا قبالة الشر (٣) تراه بيدك أكتب لنا يامولانا نخرجوه لك ، والسلام عليكم .

كتب فى اليوم الثانى من شهر يوليه عرفنا الله خيره بمنه وجوده وكرمه ولا رب غيره ولا معبود سواه .

ونعلمك أيضاً يامولانا بأن خديمك الذى أصرفت(٤) لأسنى يخرج لك الإ نفرسوا (٥) ويعرف لك الحق من الباطل ، فان أرشاه عاملك ديوغ الدالزنبوج وعطاه وحد الحصان ووحد المسلم من الذين إتخذوا باسنى (٦) وأنت يامولانا إذا أردت أن تعرف صحة هذا الخبر وصحة ما كتبنا لك به وصحة كلامنا أسئل (٧) رى منذر ومنون غرسى ، وانطانى ذا الزبير ، وجرج دماى (٨) ومثل هاؤلاء الذين ما يرضون بالعار ولا بالشماته وهم خدامك بالحق والصدق والنية ولا قط خالفوا قولك ولا أمراك ولا مشوا يامولانا إلا فيما يصلح عليك وينفعك وكذلك لب د مال(٩) أسئلهم يامولانا وهم يعرفونك بالحق من الباطل ، ويعلمونك صحة الأخبار وغير هؤلاء يامولانا لا تأخذ لكلامهم ولا بقولهم ، لين(١٠) ما مشوا فى صلاحك ولا فيما ينفعك ، لين ما يحبون إلا ما يسرقوا وما يأكلون(١١) ويقولون لك غير الحق ولو كان بغروضهم تأخذ الشرف فى حق يصبحوا ما يسرقون (١٢) ومما ياكلون كمثل ماسرقوا وكالوا ، وأما ما ينفعك يامولانا ما إشتغلوا به والسلام عليكم .

---

(١) لم تعمل (للنفى) .
(٢) لأن .
(٣) فاعل الشر نسلمه لك يداً بيد.
(٤) أرسلته .
(٥) يتحرى الحقيقة. ويلاحظ استخدام ألفاظ غير عربية.
(٦) رشاه بحصان وعبد من الذين أخذهم من المدينة .
(٧) أسأل .
(٨) Rui Mendes - Dom Garcio — Antonio de Azevedo & Gorge de Mayer
وهم ضباط برتغاليون كانوا بأسفى بعضهم كان حاكماً على الميناء .
(٩) Lapo de Mello .
(١٠) لأن .
(١١) يأكلون ظلما .
(١٢) ماكانوا ينغمسون فى هذه الأعمال .

عبدالله بن جط ــ مسعد وهس ــ منصور بن سعد الله ــ أحمد بن حُد ــ على وبو رحيس .

يصل الكتاب بحول الله وقوته إلى يد مولانا السلطان ضنون منوال حفظه الله .

أصل الوثيقة فى :

Archives Nationales de La Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes.

(بدون رقم)

تنظيمات (أوامر) أبو زكريا يحيي بن تعففت بمدينة أسفى — وبه الأحكام والقواعد التى يعمل بها فى مختلف المخالفات .

مؤرخ : أول ربيع الثانى ٩١٨ هـ (من ١٦ ، ٢٥ يونيه ١٥١٢) .

الحمد لله وحده بسم الله الرحمان الرحيم—وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً .

بيمن الله وتوفيقه وبإذن من له الأمر والأحكام بمدينه أسفى الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز الأرفع الأجل الأكمل المؤيد المنصور أبو زكريا يحيي بن محمد أدام الله عزه ومتع المسلمين بحياته وأفسح لنا فى دولته أمن بالضفر (١) والنصر وأعلا مناره وألهمه إلى طريق رشده — التفق (٢) رايه الرشيد الميمون السعيد على أن قدم (٣) على قبيلة الحارث الشاب المكرم أبو عبد الله محمد بن حجاج وفوض له الأمر فى أحكامهم بعد رضائه بذالك واستعان بالله طالباً الإعانة على توفيقه إلى ما قد قدم عليه ، إلى أن طلب له فى تعيين رجالا (رجال) وشطارا ممن يرضا الشاب المكرم يستعين بهم (٤) على أفعاله وأقواله وما يحتاج إليه من كافة شأنه وال آمره ، ووضع الأمير المذكور جميع شأنه وأموره بيد محمد المذكور ، وأقامه مقام نفسه ولا حرج عليه فى ما فعل ففعله ماض وجايز ، فمن عصاه وخالف أمره يعاقب عقوبة شديدة ، فمن إستحق من العصاة ضرباً ضرب والله يتولا (٤) أمورنا وأمور المسلمين أجمعين بيد التبسط (٥) لما جرت به العوايد من أسلافهم وأقرانهم ، جعل على من قدر الله عليه بقتل أخ مسلم ما سبق فى حكم التنزيل وما جاءت به السنه من سيد البشر (صلى الله عليه وسلم) ، فان كان القتل قتل عمداً فيه بما قال الله تبارك فى كتابه العـــزيز وكتبنا عليهم فيها إن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، وقال تعالى والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما فمن فعل فعلة يستحق بها العقوبة فيحكم عليه ، بقول الله تعلى وسنة نبيه أصلى الله عليه وسلم ، وجعلنا الله وإياكم ممن أطاع مولاه وخالف

---

(١) بالظفر (٢) أتفق (٣) جعله مقدما

(٤) يتولى (٥) التروى وإعادة النظر

هواه وسلك بنا ربكم طريق الهدى بجاه نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبهاذا شهد من حضر ذالك ودعاه وخفضه كما يجب ، قبلت شهادته فى أول ربيع الآخر عام ثمانيه وعشر بعد تسع مائه عرفنا الله خيره وخير ما بعده والحمد لله وحده .

وبعد فهاذا دية من سرق عشرة أواق أو مايه دينار دراهم أو تقطع يده ودية من جرح أخيه المسلم وقيتين أو عشرون ديناراً والكبش يعطيه للمجروح ، ودية من ضرب بعصا أو حجر وقية واحدة أو عشرة دنانير .

ومن ذكر ما سلف من العار (١) بين الناس فعليه وقيتين أو عشرون ديناراً أو ثور ، وإن شتمت إمرأة رجلا ضالمتا (٢) فعليها نصف وقية أو خمسة دنانير أو كبش ، ومن وجد فى بيت غير بيته على وجه العيب والخيانة فعليه عشر أواق أو مأة (٣) دنانير .

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى المقدم يحكم فيه بحكمه يوجل له ميجالا (٤) ، فاذا لم يعطيه بعد المجال يحكم فيه بما شاء .

ومن غوت عليه المرأة كلف عليه الشهود ، وإلا عليه اليمين وإن تبين فيه خمسون ديناراً أو خمسة أواق .

ومن ظهرت منه نعرة فعليه عشرون ديناراً أو وقتين أو ديتهم .

ومن قدر الله عليه فهتك حرمة أخيه فعليه مائة دينار للمخزن ويأخذ صاحب الحرم حرمته .

ومن حكم عليه الشرع بالحكم ثم رجع للخصام بعد الحكم فعليه عشرون ديناراً أو ثور .

ومن هرب بالمحصنة يوكل ماله وتحرق بيته وينفى من بلده ، ومن حكم السلطان وتؤخذ دية المرأة من ماله ، وإن وجد قتل ، وليس على من قتله دية أو يحبس إلى بين يد السلطان ، ومن جعل يده فى مال رجل بالغصب فعليه خمسون ديناراً لسبب

---

(١) العيب (٢) ظلما

(٣) مائة (٤) يعطيه مهلة

تعديته فى مال المسلمين ، هاذا إذا كان له عليه دين ، وأما إن كان سارقاً ــ مائة دينار (١) . الشب المكرم محمد بن منصور ــ وعلى بن عمر ــ على بن عمر بوخشب ــ وجعبوب بن موسى ــ على بن محمد بن قه ــ وعمران بن عب ــ على بن عياد ــ وزينون والبوصر وعلى بن فتوح ــ وعمر بن كنابر ــ وروح بن بجود ــ وروح بن سعيد ــ وعلى بن عريف ــ ومسعود وبن حنين ــ وحم بن عمر ــ ومحمد بن عماره ــ وعلى بن حمد ــ وعلى بن محمد القاسمى بن سعدان ــ ومحمد بن الحافظ ومبارك بن إبراهيم (٢).

ومن طلب عند رجل ماله أو دينه يرفع أمره إلى الحاكم (٣) ــ وأحمد بن المحلوف ــ ومبارك بن عيسى ــ وبوفليح ــ وحماد وعلى بن سعيد وكار ــ وعلى بن جابر والحلول ــ وحمد وبريج ــ ومبارك بن عمر ــ ومن الذيخ وزيد بن ساس وغانم بن على ــ والكح والكراش .

---

(١) أى يدفع مائة دينار

(٢) كثرة التوقيعات الهدف منها إعطاء قوه للأوامر

(٣) هذا التعبير الذى جاء فى وسط التوقيعات بنفس خط الوثيقة وهو تكرار لشىء وارد بها من قبل ولعل القصد التصحيح أو التوضيح .

ولم يوضح المقصود بالحاكم ــ لكن لعله الحاكم البرتغالى لأسفى

Archives Nationales de la Torre de Tombo - Casa dos Tratados Documents Arabes.

— ٤ —

من الملك عمانوئيل الأول Emmanuel I إلى مواطنى آزمور يصفح عنهم بعد أن كان مصمماً على عقابهم لما حدث لبعض رجاله وقواده فى بلادهم ، وذلك لشفاعة زوجة الملك لهم ، ويطلب كمية كبيرة من القمح ليغيظوا الأعداء ويتضح كذب الوشاة .

لشبونة فى : ٢٢ إبريل ١٥٠٤

هاذا الأشياخ الفضلا والروٴساء الأمنا والخاصة والعامة . أهل ازمور نحن ضون منوال بفضل الله ونعمه سلطان البرطغال والغربين وصاحب كناوه . مستفتح أقاليم غربيه وأمصار وجزور وبحار وأقاليم هندية(١)وأوطان فرنسية(٢)ثم بلاد الكو(٣) سلام يراجع سلامكم وبعد، وصلنا كتابكم وفهمنا جميع ماتضمنه كتابكم وخطابكم وقد ذكرتم لنا ما وقع عندكم من الندامة على ما انصدر من فعلكم فى النازلة التى أحدثوها عندكم وقلتم إن القلوب(٤)...قد اتجمعت بينكم وأن صارت قلوبكم موٴلفه ومجتمعه وكلمتكم واحدة وطلبتم منا العفو والتجاوز(٥)... ما نزل والصفح عليه وأن نتموا على صلحنا وعهدنا وتمينيتنا معكم (٦) وأعترفتم بذالك كله وطلبتم منا القبول ، وإنكم تكونوا لنا خدام وأصدقاء ، وقلتم إنكم ترِدون(٧) جميع ما أتخذ لنا هنالك ولرجالنا فى مرستكم وبلدكم فى قواربنا الذى إنفسدت عندكم ولرجالنا وتجارنا ، وأشرتم فى كتابكم بجميع المحبه والنصيحة إلينا ومهما إنكم ما حمدتم الله عز وجل مولانا ولا شكرتموه على مامنحكم وأعطاكم من صلحنا معكم الذى كنتم تحت رعينا وحفظنا وحملكم نظركم الفاسد على هتك العهد والميثاق الذى كان بيننا وبينكم ومددتم أيديكم فى أمر ليس بواجب عليكم (٨) ، بل كان من الأمر الواجب والعهد (اللازب) (٩) رعى مسايلنا وخدمتنا والإستحفاظ عليها فنازلتكم ووافقكم كانت

---

(١) قام فاسكودا جاما فى عام (١٤٩٧) برحلة فوصل لنهاية القارة الأفريقية فى (١٤٩٨) وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرق للقارة وبإرشاد البحارة العرب وصل إلى كلكت على الساحل الغربى للهند وعاد إلى لشبونه فى سبتمبر (١٤٩٩) .

(٢) فارسيه . (٣) قصده غير واضح . (٤) غير واضحة .

(٥) التجاوز عما بدر منهم. (٦) السلام القائم بيننا . (٧) ترجعون .

(٨) يشير إلى نهب البضائع والسفن . (٩) اللازم .

أولا للتأديب والتعزيز من العفو والصفح والغفران ، وإن كانت عادة الملوك أمثالنا الصفح والغفران كما قلتم ، وقد كنتم قد كتبتم قبل هاذا ولم يصلكم عليه جواب فسبب ذلك كان الجرح الذى لحقنا من جهتكم ومن فعلكم القبيح الذى أدركنا من نحوكم وكنا عاملين على أدبكم وتعزيزكم لاشك فيها وأن نكافيكم بفعلكم ونجازيكم عليه ونتركم مثلا وموعظة لمن ينقص عهده ولمن ياتى بعدكم ولا نصلكم بخير فهاذا كان مقصودنا(١)، والآن حين كتبتم وأعترفتم بذنبكم وتوسلتم بأقرب الينا(٢)، وأحبهم لدينا السلطانه زوجتنا التى عنكم قصدتنا وقصدها له مقام عظيم عندنا ، وطلبتم العفو منا على مافات وأظهرتم الندامة وكيف كلمتكم فى ذالك واحدة فنحن عنكم عفونا واسمحنالكم(٣)فيما مضى وغفرنا لكم ماوقع منكم وذالك إن أوفيتم بما قلتم فى كتابكم برد جميع ما أخذتم إلينا ولرجالنا ، فاذا أوفيتم بما قلتم فلكم الأمان التام والخير والإقبال العام ، وأنتم تحت حفظنا ورعايتنا وعهدنا كما كنتم بالعهود الموثوقه والعقود الأزمه ، ووجب شكركم إلينا على هاذا وتجديد الحمد والشكر لله الذى سمحنا لكم ورضينا بقولكم وهاذا الأمر فات وجاز ، ومافات وجاز جوزناه(٤) فاستعملوا من اليوم لقدام الصدق والوفاء والنصيحة فى خدمتنا ، فلو علمتم مالكم فى عافيتنا من الخير الشامل والأمن الكامل ، وما تصلكم من الفوايد ، وإلى بلدكم من الخير الزايد لحمدتم الله كثيراً جداً عل(٥) ذالك واعملوا على تاكيد المودات وإجلاب المحبات تنالوا المسرات ، وماقلتم إن كانت عندكم هديه تصرفوها إلينا ورجال من أخياركم وبيتكم(٦) ياتون لعندنا ويقفون علينا فاعملوا فى ذالك مايسركم وما يعجبكم والذى يسركم يسرنا ومايعجبكم يعجبنا ولاشك أن جميع من ياتينا من عندكم نبروه (٧) ونفرحوا به وبملاقيته فاعلموا ذلك ومابقى عندكم من شروطنا والجزية التى خلت فى هاذه السنين تموا(٨) عليها ، وليعلموا

---

(١) تهديد .
(٢) أقرب الناس .
(٣) سامحناكم فيما بدر منكم .
(٤) تجاوزنا عنه .
(٥) على
(٦) بيوتاتكم .
(٧) نبر به أى نكرمه .
(٨) أتموها ، أى ادفعوها .

الخاصة والعامة إنكم لنا أصدقاء نريد منكم أن تبذلوا لنا جهدكم وتسمحوا فى الخروج من هنالك من عندكم وحوزكم الفين كفيز(١) قمح لياتوا به لملكنا وهاذا أكثر لما ينظر إليه أنكم لنا خدام وأحباب وينكبث (٢) بذالك أعدائكم وتتأكد المودات ويتضح كذب الأشاة(٣) وتنالوا منا على ذلك المزيات(٤) وتعلوا لكم على جيرانكم الدرجات عندنا ، وتكون لكم اعيننا دايما ناظره وأسماعنا لكم واعية وحوايجكم كلها مقضية بنفوس رضية .

سنج طابا رش فارس دارنا وأمينا أصرفناه(٥) إليكم بجوابنا هاذا وقلنا له ما يقول لكم عنا ، فجميع ما يقول لكم عنا صدقوه شافياً ، فعاملوه بجميل فى قضاء حوايجه ومالكم فى الخير وألا مان عن عوايد وسامحوه بحصن(٦) وافر من إكرامكم وزايد ، واعملوا حسب مايقول لكم ، وإن وافقتم على مايقول لكم وأتى من عندكم مع من نتكلمو أو نستامنوا إليه ففرحوا لذلك كثيراً وإن أوفيتم بما قلتم وكتبتم تصرفوا (٧) لهنالك لعندكم وكيلنا وتاجرنا وفيطورنا(٨) بجميع ماتحتاجون ويصلكم كما طلبتم وأصرفتم إليه(٩)وإذا نظرتم هاذا بنظر صحيح سالم لكم فيه منفعه عظيمة ووجب عليكم خدمتنا كما هوالمظنون منكم حسب ماذكرتم والترقم وكتب وترجم خديمكم ونصيحكم ومعتقدكم عبد الله الزغبي(١٠) مسلما عليكم من الحضرة .

---

(١) الكفيز (Kafiz) = من ٢٥ إلى ٥٠ لتراً كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) يغتاظ .

(٣) الوشاة .

ونلاحظ التبرير العجيب من ملك لهذا الطلب العجيب .

(٤) المزايا .

(٥) أرسلناه .

(٦) بحظ .

(٧) ترسل .

(٨) وأسطولنا .

(٩) ماذكرتم له .

(١٠) من المغاربة بالبرتغال وكان فى خدمة ملك البرتغال – يعمل كمترجم له .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de La Torre do Tombo-Caso dos Tratados. Documents Arabes

خطاب على بن سعيد من أشراف أزمور للملك عمانوئيل بشأن مولاى زيان

مؤرخ : أزمور فى أول شعبان ٩١٦ هـ. (بين ٣ ، ١٢ نوفمبر ١٥١٠)

نجد(١) السلاطين — وسلالة الماجدين ملك الروم طون منوال أرشده الله بمنه وكرمه .

الحمد لله رب العالمين — والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين — والرضى عن آله وأصحابه الأخيار المنتخبين .

ملك الروم(٢) وتاجهم ، أصلهم ومالكهم ، سلالة السلاطين ، ونجد الأمرا الماجدين — صاحب العهد المتين — والحسب المكين — وجوده فاق عن أمثاله — وخيره عم أقاربه — طون منوال(٣) أرشده الله بمنه سلام يراجع سلامكم وبعد — فان كاتبه على بن سعيد(٤) محبكم وخديمكم لم يزل كيف(٥) تعرفونه — راغباً فى الهدنه والعافيه والحمد لله الذى كمل علينا بها وبمحبة مولانا زيان لكم — وبخدمته لديكم حتى فاقت محبته فيكم محبتنا — وصفايه(٦) لكم صفا وثنا — فكن على يقين بهاذا وكلامنا تعرفوه — ومانحكوه لكم جربتوه فاقبل خدمته وهديته ، وطول رقبته كما طول رقبتكم ، ولا تعمل لأعدائه أهل الغرب مايرهصونه به ، هرب لكم ، وقصدكم قصداً له دمام(٧) عمل ماقدر عليه من صنعه رعياً لكم ووفيى بالشروط على حسب ما فسرتم ولم نقصروا (٨) بشىء من كلامكم وديالك إذا القاصبة(٩) نعم الرسول ونعم الرجل هو ، خصه كاتب مثله فى الطبع والخلق ،

---

(١) قة .

(٢) الروم يعبرون بها دائما عن المسيحيين .

(٣) Dom Manuel .

(٤) من اشراف أزمور .

(٥) كما .

(٦) صفاؤه .

(٧) ليجد مأوى لديكم .

(٨) نقصر

(٩) Diogo de ALcacova

وجوان(١) حمل حصاناً رعياً لكم ، وبصرر من أربعين أوقية فى بعض السلع كل ذالك مراعاة من السلطان لكم ولو كان منه قلق وسوء طبع ومالم يقل فالسدة(٢) محموده والعذر مقبول ، وبقية الكلام تعرفوها من كتب خدامكم وأرسالكم بافواههم وكل شيء رأوه عياناً ، والسلام يعم مقامكم ومن لاذبكم(٣) بتاريخ أوائل شعبان عام سته وعشر وتسعمائه عرفنا الله تعالى خيره .

وأولاد دياك(٤) بفضلكم أيها الملك ترسلهم له(٥) إذ هو اللائق بهذا الوطن وتريح نفسه بولده وزوجته ، وهو عندنا وعند السلطان فى مقام عظيم وعند جميع الناس والحمد لله وما يحكى لكم عن عضلته(٦) فنحن حبسناه من غير وده(٧) لمصلحتنا ومصلحتكم حتى لم يكون بحمد الله سوى جميع الخير والشكر لله والجميل لكم ومولانا زيان راجلكم وخديمكم لكل ماتحبه يعمل لكم وهو عاركم(٨) فى أعدائه وأعدائكم وهديته تعذره ، عمل جهده فيكم وفى الله فاعمل معه ما يعرف لكم إذ الملوك للملوك رحمة ونعرة وكاتبه ومولانا زيان خدمتهم فيك واحده ومحبتهم فيك كذالك ولا تعمل فى هذا شك ولاريب وما على يديه خير من على يد العوام والسلام .

---

(١) Josao

(٢) ما لم نقله (مثل معروف) .

(٣) لاذ بكم .

(٤) الذين هم لديك .

(٥) يقصد Diogo

(٦) تعطيله .

(٧) دون ارادته .

(٨) ما يصيبه عار له ولك .

الأصل موجود فى :

Achives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados - Documents Arabes.

هدنة (اتفاقية سلام) معقوده بين مولاى احمد الشريف وملك البرتغال ؛

مؤرخة ٢٢ ذى الحجة ٩٣٢هـ (٢٩ سبتمبر ١٥٢٥)

الحمد لله وحده ، يتعرف بحول الله وقوته ، من وقف على مكتوبنا هذى ، يعلم صحة مافيه إن مولاى نصره الله وخلد ملكه قبل جميع الشروط الدين(١) انابهم إبراهيم بن ازمو(٢) من عند القبطان عز سای دی میلو صاحب مشور(٣) سلطان برتغال وناظر رمات(٤) برتغال والشروط على غرامه الدشور(٥) تركها مولاى نصره الله والحدود الدين هم لأهل اسنى يحرقون المدينة ، وتزروت ، والدشور وبنى مكر(٦) وهدو الدشور من جملة حدود النصر(٧) يحرقونهم أو يسكونونهم ، وكذلك جميع من لم يحـــرم بيعه فى ديننا يشترونه النصر فى بلاد مولاى نصر الله ، وإبراهيم بن أزمر شهد بذالك وعلى يديه كان ذالك،والعافية(٨) الذى عليها هاد الشروط على تمام(٩) من شهرذى حجة عام اثنين وثلاثين وتسع ومائة إلا(١٠) شهر ذى حجة عام ثلاثة وثلاثين وتسع مايه وكتب بأمره وصفيه وعبـــده محمد بن أحمد متعه الله بطول حياته بتريخ(١١)٢٢ من ذى حجة عام ٩٣٢ وشهد بذالك نون البرس(١٢) كاتب القبطان باسنى .

---

(١) التى أتى .

(٢) Ibrahim Ben Zamiro اليهودى الذى فى خدمة ملك البرتغال

(٣) Garcia de Mello عضو مجلس الشورى .

(٤) رماة .

(٥) القرى .

(٦) يقومون بزرع Tazrout - Emedian – والقرى Beni Mager,

(٧) النصارى .

(٨) السلم .

(٩) لمدة عام .

(١٠) إلى

(١١) بتاريخ .

(١٢) Nuno Alvaris

خطاب من مولاى احمد الشريف إلى ملك البرتغال (Jean III) يذكر له إنه على الرغم من الصلح والاتفاق الذى عقد بين الطرفين فلا يزال اتباعه يعتدون على المسلمين ويطلب وقف ذلك .

مؤرخ : ٢٤ صفر ٩٣٢ (١٠ ديسمبر ١٥٢٥)

يصل بحول الله وقوته إلى يد عظيم الروم(١) سلطن برتغل

الحمد لله وحده .

من عبد الله المعتمد على الله الشريف لطف الله به إلى عظيم الروم سلطان برتغال — أما بعد فانى أحمد الله الذى لا الله إلا هو ، وأصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذى وجب به إعلامنا لكم أننا عملنا العافيه(٢)مع خدامكم قبطن أسنى(٣) وقبطن أزمور بأمركم فى العام الماضى على يد النصرانى خديمكم مشاط(٤) واليهودى إبراهيم الحزان(٥) . وفى تلك العافية(٦) أخذوا أهل أزمور زوج مسلمين من خدامنا وطلعوهم لذلك البر بتعكم(٧) وكل يوم نطلبهم ولا رأينا لهم خبر ، وأهل أسنى أيضاً بعثوا سراقهم(٨)سرقو البقر من بلادنا وباعوهم فى أزمور وظهر فيها عياناً ، وفى هذه العافية الآخرة التى كانت بيننا على يد اليهودى إبراهيم بن زمير(٩) أخذ وأهل أزمور قافلة عليها الشمع(١٠)وردو الناس وأكلوا(١١)الشمع والبهائم ولاردو

---

(١) كان يطلق عليه هذا اللقب أى عظيم المسيحين ، وهذا يذكرنا بكثير من الوثائق بهذا الشكل فى صدر الإسلام .

(٢) السلام ، أى الاتفاق .

(٣) قبطان آسنى وهو فى ذلك الوقت Goncalo Mendes Sacoto .

(٤) Machodo

(٥) Ibrahim Rabbin (عدد كبير من اليهود دخل فى خدمة البرتغال) .

(٦) وفى أثناء سريان هذه المعاهدة .

(٧) (بتاعكم) بركم .

(٨) اللصوص .

(٩) نفس الشخص السابق وكان يدعى Ibrahim Ben Zamiro

(١٠) كان الشمع من صادرات هذه البلاد .

(١١) استولوا على الشمع والبهائم وأعادوا الناس .

إلا الناس بروسهم خاصة ، وأيضاً رسل قبطان أسنى الخانه (١) والتقو مع قافلة من خدامنا وأخذوها وقتلوهم كلهم لكى يأكلون القافلة ، وقتلو جميع أهلها لكى لا تظهر عليهم(٢) ، وظهرت عليهم ، وأيضاً أخذو زوج مسلمين وطلعوهم لذلك البر متعكم والقافله الذين ماتو أهلها ردو من بهائمها والذى عليها نحو من ثلثين وبقى الثلث(٣) وحاصل الامر فإن كانت هاذه العافيه بامركم ترسلو لنا من ينصف لنا(٤) فى جميع مالنا عند خدامكم فلا نرضالكم يعملون خدامكم هذا فى عافيتكم ، تبعتو من يقف حتى يرجع جميع ماذكرت لكم ، ويأخذ الحق من الذين عملو هاذا الفعل القبيح لأننا لانصبر على ذلك ابداً إلا واجب علينا نعرفكم بذالك ، فالله الله ثم الله فى الجواب(٥) فى القرب دخول الكتاب خروج الجواب ، وإنا ما ننتظر إلا ما عندكم فان انصفتم لنا من حقنا وعملتم عمل الحق والشريعة فالذين عملو هاذا الفعل القبيح فالحمد الله والعافيه تبقما على حالها ، وإلا فنحن مانصبر على ماجرا فينا أبداً ، ومن يوم عملنا مع خدامك العافيه ما انصدر منا عيب قط وإذا رسلتم شر عكم(٦) فظهر له جميع ذلك ، ونحن نحب منكم تبعثو قاضياً يكون قاعدا فى آسف أبداً ، جميع ماكان يظهر له ولاكن بعد أن تاخذ جميع حقنا وتكون العافيه بالقول والفعل والسلام على من اتبع الهدى .

رابع وعشرين من صفر عام ٩٣٢ هـ

---

(١) أرسل (قطاع الطرق) .
(٢) لمحو آثار جريمتهم .
(٣) ردوا جزء واستولوا على الباقى .
(٤) ينصفنا .
(٥) أجب دون تأخير – بمجرد وصول الخطاب أرسل الرد .
(٦) عد لكم .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados, Documents Arabes.

خطاب من مسعود بن الناصر الذى كان مع خاله احمد بن محمد الشيخ الوطاسى حاكم فاس إلى الكونت دى لنارش حاكم أزمور

مؤرخ : أواخر ذى الحجة ٩٣٣ هـ (١٧ سبتمبر ١٥٢٧)

القند(١) المرفع دون طولى(٢) قنددى لنارش(٣) أكرمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبيآ بعده .

من عبد الله الراجى رحمه الله مسعود أصلح الله حاله وبلغه فى الدنيا والآخرة آماله إلى المكرم الأوجه الأرفع الأفضل الأكمل الأوفى الأصفى الشجيع الكبير فى قومه دون انطنى ، قنددى لنارش — أكرمه الله وأصلح حاله سلام عليكم ورحمة الله — أما بعد يكون عندكم أن نحن على محبتكم واعتقادكم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وبعد قد وصلنا اليهودى ولا راينا منكم معه كتاب(٤) وكل ضننا نضن أن يجي الرسل من عندكم ولا تصرف لنا كتاب ما استعودنا منكم هدا شى(٥) إنكم تنساو(٦) المحبة ، ونحن كتبنا للسلطان(٧) جواب كتابه مع إبراهيم الحزان اليهودى(٨) ونحن منتظرين جوابه ، وبعدن(٩) يجينا الجواب من عنده نصرفوا له واحد من خدامنا إن شاء الله فكون بعلمك .

وكتب فى أواخر الحجة عام ثلاثة وثلا ثين وتسعمائة .

---

(١) الكونت .

(٢) D. Linhares

(٣) D. Antonio

(٤) لم يأت لنا خطاب .

(٥) الشىء .

(٦) تنسوا .

(٧) يقصد ملك البرتغال .

(٨) Ibrahim Ben Zammou

(٩) إن (ما) .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo. Casa dos Tratados Dacuments Arabes.

خطاب من سكان ازمور إلى جيان الثالث (Jean III) يشكون من ظلم مندوبه ببلادهم وما يعانونه منه ويطلبون إقامه العدل .

مؤرخ : ازمور (فى ٢٠ إبريل ١٥٢٩)

الحمد لله وحده الرى(١) دون جوان الله يعيشه(٢) من خدامكم مسلمين أزمور تقبل أقدامكم عن الخير والحمد لله. أما بعد مادخلنا بلادكم(٣) ولاخدمناكم إلابأمان أبيكم وكانت نعمته علينا عايمه(٤) ووفاه(٥) كبير ولاقط لحقنا فى مدته غبن ، وخلفته أنت ،مارأينا فى أول مدة إلا الخير حتى صرفت(٦) لنا جورج(٧)دياجش كصر(٨)مزراقك(٩) الوافيه وخصر(١٠)أمانك الذى كان متل أمان أبيكم أو أكثر منه وقلنا ما عندكم خبر حتا(١١)صرفت إلينا الكوجدور(١٢) فرحنا به فرحاً شديداً وقلنا زال عنا الباطل واتواترت أخبارنا ببلاد المسلمين جات منها اثنا عشر خيمه هاربت(١٣)إلينا ولو دام دالك علينا ما يبق أحد نكون فى عمارة قوية فى بلادك(١٤) ثم بعد ذالك بين الكرجدور حقناً وغرم منه جورج دياجس(١٥)البعض منا حقاً كتر عليه الأمر قال ما نعزم شىء حتا (١٦) نبلغ للسلطان.ثم عند ذالك قال لنا

---

(١) الملك . Roi D.—Joao

(٢) يحفظه .

(٣) بلادكم !

(٤) كثيرة .

(٥) وفاؤه .

(٦) أرسلت .

(٧) Jorge Vugas

(٨) كسر (حطم) .

(٩) قاربك (الوفاق الذى كان بينه) .

(١٠) خسر .

(١١) حتى .

(١٢) أرسلت الـ Corregedor

(١٣) جاءت حين أطمأنت على العدل والسلام .

(١٤) يعم الخير .

(١٥) ظهور الحق ضايق Jorge Vugas

(١٦) إلى أن نبلغ .

الكرجدور 'كتب ما أخد لكم وأنا نبلغه إلا بين يدى السلطان(١) كتبنا معه إليكم ، وكنا نقول قبل هادا ماعندكم خبر حقاً أتاك الكرجدور باخبرنا(٢) كلها وصرفت لنا برأتكم فرحنا أيضاً فرحا شديداً واتجازينا بتلك الرجال الذى اتاوه(٣) اليكم وقلنا إذ سمعت كلامهم تعرف الغبن والباطل الذى نحن فيه الضر(٤) والأمر فى بلادك والآخر والأضر من بلاد الشريف ، والآخر والأضر من بلاد سلا(٥)، قلنا إذا سمعت كلامهم تعمل لنا الحق يرتغد(٦)به قلوبنا،فلما بلغ إليكم ماعملتم(٧) منهم شيء عرفنا أن الباطل كله منكم ، الله يجعل دنوبنا فى رقبتكم(٨) وتعلمنا أكان نحن أسار فى بلادك عين لنا أضيافنا يطعمون الطعام(٩) نحن ضعنا من كل جهة بالأخذ والاصر فى بلادك وفى بلاد المسلمين ، ومضمان الجوع(١٠) زرعنا أكله الشريف وتركنا للجوع ماقدرن على شيء ومتاعنا(١١)وأولادنا عباهم جورج دياجش ، وابيت(١٢)تعمل لنا الحق ، الله يعمل دنوبنا فى رقبتك ، واد انت سلطان وقدرت علينا السلطان الكبير أقدر منك(١٣)وإذا وفيت ماتوفى إلا لروحك(١٤).

أما نحن لاتحسبنا إلا مضينا والسلام

---

(١) ملك البرتغال .

(٢) بأخبارنا .

(٣) أتوا .

(٤) الضرر .

(٥) ضرر من جهات متعددة من حاكمك ومن الشريف ، ومن حاكم سلا .

(٦) نسعد به .

(٧) لم تعملوا .

(٨) يحمله ما يعانونه .

(٩) لو كنا أسرى (عبيد) عين لنا من يطعمنا كما يفعل مع العبيد .

(١٠) متنا من الجوع .

(١١) ما نملكه .

(١٢) رفضت .

(١٣) وإذا كنت تتباهى بقوتك فالله أقوى منك .

(١٤) ما تفعله من خير يعود عليك أنت .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes.

خطاب مولاى أحمد للملك جيان الثالث (Jean III) بخصوص شخص إرتد عن الإسلام ومسائل أخرى .

مؤرخ فى : ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٣٦ هـ (٢٥ نوفمبر ١٥٢٩) .

المختار بن النصارى سلطان برتغل دونجوان .

الحمد لله وحده

من عبد الله تعلى أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العلمين (١) سلطن مراكش المحروسه وأحوازها وحاحة وأحوازها ، وسوس وأقطارها ، ودرعة وأعمالها وتوجرارين وما والاها ، ووادى نون وما قاربها — الشريف أيد الله أمره وأعز بالتأييد المظفر نصره إلى سلطن برتغل دونجوان — أما بعد حمد لله تعلى كلمة التوحيد وعزها بالعز المتقاعس(٢) والتأييد . فقد ورد علينا كتابكم ، وفهمنا ما ذكرتم فيه على أمر ابن بشتاين فارس (٣) ووقفنا منه على شهادتكم إنه داخل فى دين النصرانية فلم نشك فى شهادتكم بذالك ولا إتهمناكم فيه ، ولكن الذى هو الحق فى ديننا فيمن كان أمره كذالك أن يخرج من بلادكم ومن تحت أحكامكم بالأمان من عندنا ويبيت مع وليه(٤) عشر ليال أو خمسة عشر فأى دين اختار فى تلك المدة يرجع إليه وهذا هو الحق (٥) . . . وأما قبطان اسنى فرنششك لبس (٦) لولا ما سلف بيننا وبين القبطان غرسيد ميل (٧) من الغدر ما يكون بيننا وبينه إلا الخير لما ظهر لنا منه من الركون إلى ما يصلح بيننا وبينكم ، كلما تعملون منه من الخير فهو محله وقراره(٨) والله سبحانه يوفقنا إلى ما فيه صلاح الدنيا والدين .

وكتب لسبع بقين من ربيع الأول عام ست وثلاثين وتسعمائه عرفنا الله خيره بمنه وكرامه .

كتب فى التاريخ .

---

(١) العالمين ، تعالى . (٢) الصفة المذكورة فى الخطاب غريبة .

(٣) Ibn Bouchta ben Fares (٤) المولى=الأب بالنسبة للابن، والأخ بالنسبة للأخت اليتيمة.

(٥) بعد ذلك له حق أن يعتنق أى دين . (٦) Francisco lapes

(٧) Garcia de Mello (٨) فى مكانه (صحيح) .

الأصل موجود فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados - Documens Arabes.

خطاب من محمد بن لحسن زنبق (قائد سلا) إلى قبطان مدينة أزمور .

مؤرخ : ٦ أبريل ١٥٣٠

الحمد لله وحده الفارس الماجد المعظم الحسيب الأصيل قبطان(١) مدينة أزمور أنطن اليست (٢) من كاتبه لديكم محبكم ، وعن توحش إليكم كثير ، عبد الله وصيف(٣) مولاى أحمد نصره الله — محمد بن لحسن زنبق(٤) عن الخير والحمد لله.

وقد بلغنا كتابكم وعلمنا ما فيه فيما ذكرت لنا وقد وصل إلينا الشيخ يحيى ابن الديب وإلتقينا معه فيما ذكرت لنا من حجة(٥) الصلح الذى سبق كتبنا لكم بثلاثين يوماً من يوم كان خروج الشيخ يحيى ابن الديب ، فاعمل على ذلك وما ذكرت لنا من حال أهل الغرب أن نوفيك منهم(٦) نحن أمناك بل ما يوديك من أهل الغرب بالأمان التام والله على ما نقول وكيل ، وشين (٧) عندنا من الكلام تشفى فيه من كتاب يحيى ابن الديب ويكون عملك عليه ، والذى نوكد عليه (٨) فيه إن وحد الأسير هرب من محلة السلطان (٩) الله ينصره ونحب منك انهوا(١٠) هرب بزوج الجوم أدى السلطان ، ونحب إذا وصل لعندكم تاخد من عنده اللجوم واحد دهب وآخر نقرة(١١) ولا نحب ألا ترفع رقبتى بين قياد الغرب(١٢) وأنا قلت للسلطان الله ينصره شين(١٣) مشا لأزمور يصالك حتى بين يديك لأن أنا قلت السلطان الله ينصره

---

(١) قبطان .

(٢) Antonio Leste

(٣) خادم .

(٤) قائد سلا .

(٥) المسائل المتعلقة بالصلح .

(٦) نوفيك باحضارهم .

(٧) عيب .

(٨) عليك .

(٩) سلطان فاس (أحمد الوطاسى) .

(١٠) أنه .

(١١) فضة .

(١٢) ترفع مكانى .

(١٣) بما أنه

من يوم مشا ورجالنا لأزمور عطينا لهم الأمن وشين هو فى أزمور بحال (١) إن هو فى سلا ولا نحب منك إلا ترفع بى مع الساطان نوف (٢) فى كلام مع السلطان الله ينصره نهار ان يبلغ اكم ترصفهل (٣) مع هادا الرفاتسه (٤) الذى أتوكم بكتوبنا حما (٥) يدرك الساطان هنا على حوزنا (٦) والله يكثر خيرك فيما علمت (٧) مع رجالنا وما صرفت (٨) لنا من الحوايج بلغونا الله يكثر خيرك والذى سرجت لنا من أبى سالم وغيره من المسلمين ونحن جيران والخير سالف بيننا ولا عندك إلا الخير وكل ما تكلك(٩)من حاجة أكتب لنا فيها نصرفه لك إن شاء الله وبوافرية(١٠)إذ جاتخبرنا به وكذلك المرا(١١)إذا جات تعرفنا بها والسلام عليكم وبركاته .

وكتب عبد مولى أحمد نصره الله محمد بن لحسن زنبق وسلم .

---

(١) طالما هو فى أزمور كأنه فى سلا .

(٢) نوفى .

(٣) تصرفها لى – ترسلها .

(٤) أصحاب المراكب .

(٥) حينما .

(٦) ما يملكه .

(٧) صحتها عملت .

(٨) أرسلت .

(٩)ما تحتاج إليه .

(١٠) بكثرة

(١١) المرأة .

الأصل فى :

Archives Nationales de la Torre do Tombo - Casa dos Tratados. Documents Arabes - Original